309

HARLEQUIN

روايات أحلام

من يحب . . يخسر !

كيم لورنس

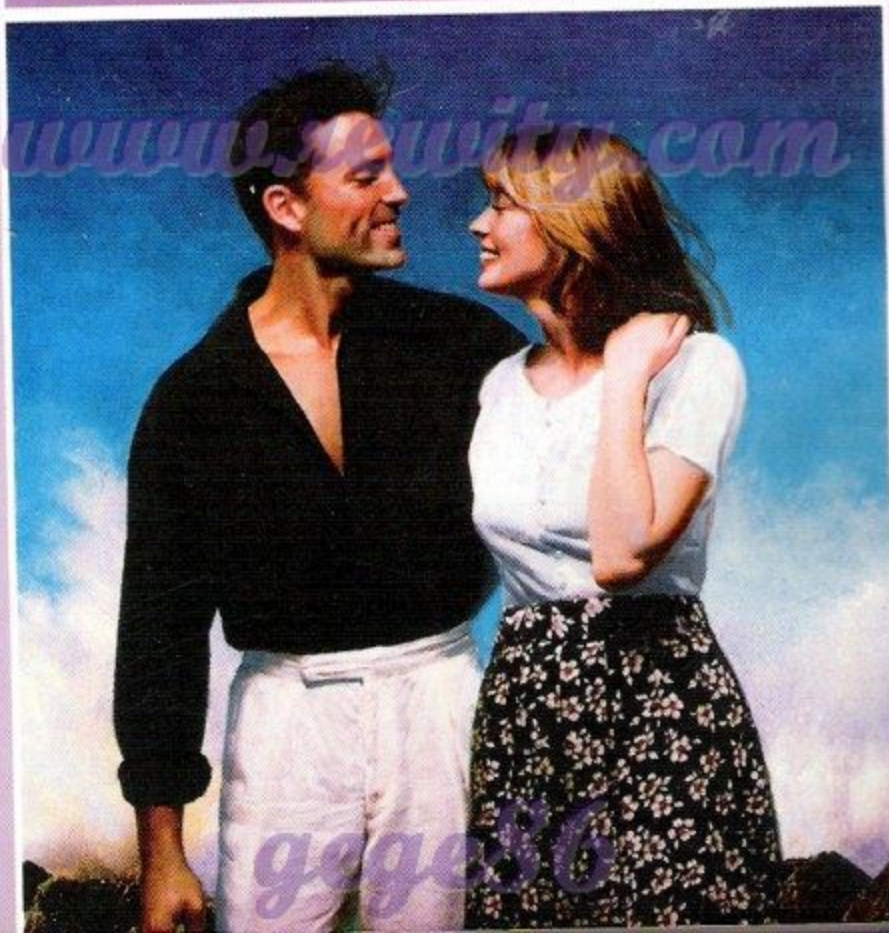

من يحب.. يخسر!

اتخذت كيت قرارها: سوف تحمي شقيقتها من فضيحة محتومة مهما كلف الأمر. والرجل الوحيد الذي يستطيع مساعدتها هو خافيير مونتيرو!

لكن خافيير لن يساعدها مجاناً. والتفاوض مع رجل متسلط ومثير مثله ليس بالأمر السهل.

قالت مذعورة: "التفاوض.. على ماذا!!".

- أنا أريد شيئاً وأنت تريدين شيئاً. لا بد إذاً أن نتوصل إلى اتفاق يخدم مصلحة كل منا!

- ما الذي أملكه وتحتاجه أنت!

- أريد أن أتزوج..

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-159-8

www.rewity.com

gege86

كيم لورنس

تقيم كيم في مزرعة ريفية في قرية «أنغلسي». تمارس رياضة الجري كل يوم، فتركض مسافة ميلين، وهي تجد في ذلك فرصة لتنشّق الهواء النقي والبحث عن وحي لكتاباتها! تساعدها هذه الرياضة على مجاراة زوجها وابنيها النشيطين ومجموعة الحيوانات الأليفة المحيطة بهم. تعشق كيم قراءة الروايات الخرافية، وهي تحب الكتابة والتأليف بالمقدار نفسه، وتروقها النهايات السعيدة!

www.rewity.com

١ ـ هجوم صاعق

قاد «خافيار» سيارته، واجتاز البوابة الكبيرة وصولاً إلى الممرّ الطويل الذي تحيط به أشجار الزيتون ليصل إلى البرج المغربي الرائع المشيّد خلف الجبال. ثم ركن سيارته «المرسيدس» قرب سيارة صغيرة بدت غريبة تماماً بين السيارات الأخرى الجديدة الباهظة الثمن.

إذاً، لم يتمكّن «سيرج» بعد من إقناع «سارة» بالتخلصّ من سيارتها القديمة! بالرغم من أن «سارة» امرأة شابة، لا ترفض طلباً لزوجها، إلا أنها تسعى دوماً للمحافظة على استقلاليتها، وتتصرف بشكل لا يمكن لأحد التنبؤ به أحياناً.

لم يكن «خافيار» متزوجاً لكنه محاطٌ دائماً بالنساء. وهو لم يضطر يوماً إلى بذل جهد للفت انتباه النساء الجذابات اللواتي يلاحقنه باستمرار.

لكن لم تُثر أي واحدة منهن اهتمامه بشكل جدّي ولم يخطر في باله قط أنه حين سيجد المرأة المثالية لن تُبدي تلك الأخيرة أدنى اهتمام به.

إلى أن التقى «سارة»!

لقد بلغ الثانية والثلاثين من العمر، وهو يملك خبرة واسعة مع النساء، لا بل واسعة أكثر من اللزوم، على حسب قول جدّه الذي يريد لحفيده ووريثه أن يتزوّج. كان بإمكان «خافيار» أن يسلك الطريق الأسهل ويختار زوجة مناسبة، امرأة ذات خلفية اجتماعية مماثلة لخلفيته تؤهّلها للتأقلم مع الضغوطات التي ستواجهها حين تصبح فرداً من أفراد إحدى العائلات الأكثر ثراء في أوروبا. وبهذا يسلك الطريق الذي سلكه والده. إلا

gege86

أن هذه هي المشكلة بالتحديد، فكلّما حاول «خافيار» سلوك الطريق السهل اصطدم بشبح زواج والديه الفاشل.

قبل أن يغادر الرجل العجوز منزل العائلة في «الاندلس» في رحلة إلى «مايوركا» وجّه إنذاراً «لخافيار».

حذّر «فيليبي مونتيرو» حفيده المفضّل: «تزوج قبل أن أموت وإلا وهبت ثروتي «لراوول» أو لأي شخص آخر».

غضب «خافيار» في بادىء الأمر من هذا الابتزاز.

ألا يعرفه جدّه بما يكفي ليظن أن باستطاعته ابتزازه...؟

استدار نحو «فيليبي» بفخر وأنفة، وهما صفتان طُبعتا على وجه الجد واشتهر بهما. لكن ما ارتسم على وجه العجوز جعله يكبح الإجابة اللاذعة التي أوشك على التفوه بها.

كان «خافيار» واثقاً من قوة جده. فـ«فيليبي مونتيرو» رجل مخادع، غالباً ما يحيك المكائد والمؤامرات. باختصار، عندما يتعلق الأمر بالحصول على مبتغاه، فهو قادر على القيام بأعمال شائنة وقاسية. إلا أنه لم يكن يوماً فظاً في مؤامراته كما أنه لم يسبق «لخافيار» أن رأى جدّه خائفاً.

ـ ما زالت الحياة أمامك طويلة..!

ابتسم «فيليبي» وفطن «خافيار» كعادته لوجود أمر مريب فهو ماهر في قراءة الأفكار بقدر ما هو بارع في فهم السوق المالي.

ـ في الواقع، ما تقوله غير صحيح. فقد قال الأطباء إنه لم يعد أمامي سوى ستة أشهر.

لم ينفعل «خافيار» كما يفعل الناس عادة عندما يعلمون بدنو أجل شخص عزيز يعجزون عن تصور الحياة من دونه، ولم يصرخ قائلاً إن هذا أمر مستحيل.

أراد القيام بذلك لكنه لم يفعل.

وعوضاً عن ذلك، وبعد دقيقة من الصمت، طأطأ رأسه وطرح على جده السؤال المشؤوم: «ما المشكلة؟».

فأجاب «فيليبي» بصوت منخفض بعد أن أخذ نفساً عميقاً: «سرطان! انتشر الداء اللعين في رئتي ولا فائدة من العلاج. إيّاك أن تخبر أحداً بذلك! إذا انتشر الخبر، فسيحاول الكثيرون تدمير الشركة».

وظهرت في عينيّ الرجل العجوز ومضة اشمئزاز ثم أضاف وقد ارتجف صوته: «لا شك في أنهم سيعاملونني عندئذ وكأنني عجوز خَرِفٌ».

لم يكن «فيليبي مونتيرو» يخشى الموت إنّما الطريقة التي سيموت بها: «لن يفعل أحد هذا!».

نظر الرجلان إلى بعضيهما البعض وتبادلا وعداً صامتاً.

تنهد «فيليبي» راضياً: «لسوء الحظ أن التوقيت ليس ملائماً الآن بسبب صفقة «بروسلز»..».

لطالما كان «خافيار» رجلاً قادراً على السيطرة على مشاعره، لكن القلق في صوت جده على مصير الأمبراطورية، تلك الأمبراطورية التي عمل على بنائها طيلة حياته، جعلت شعوراً غريباً يتملّكه فصرّ على أسنانه وقال: «أثمة وقت ملائم للموت؟».

وارتجف صوته العميق حين أضاف: «فلتذهب الشركة إلى الجحيم! فأنت ستموت يا جدّي!».

ورد الجدّ بلا مبالاة: «سنموت جميعنا في يوم من الأيام».

ثم تابع «فيليبي» بمكرٍ: «إذا كنت تهتم حقاً لأمري، فأثبت لي ذلك وتزوج «آريا» فهي تحبّك».

أطلق «خافيار» ضحكة ساخرة: «أنت لا تستسلم أبداً، أليس كذلك؟».

كان «خافيار» يعلم تماماً أنه في حال تزوّج، فلن يتزوّج من امرأة تحبّه، إمرأة قد يؤذيها كما ألحق والده الأذى بوالدته. كانت والدته امرأة ضعيفة لم تتقبّل يوماً فكرة غضّ النظر عن علاقة زوجها بنساء أخريات، واقتصار دورها في حياته على الظهور بمظهر لائق وتربية ابنها واستقبال الضيوف.

أنبّه العجوز بصرامة: «هذه المسألة ليست مضحكة يا «خافيار».

www.rewity.com
gege86

فاستمرارية النسل أمر مهم. عليك أن تنجب أولاداً».

ـ آسف، لكنني لا أستطيع.

لم يكن «خافيار» يخشى خسارة الميراث، وأيقن أنّ جزءاً منه يرحّب بالفكرة. فهو شخص يهوى التحديات ولا بدّ أن الانطلاق من الصفر سيشكل التحدي الأكثر إثارة الذي عرفه في حياته. وفكرة أن ما سينجزه هو وليد مجهوده وحده ولا علاقة له بما ورثه عن عائلته الغنية أمر مُرضٍ تماماً.

للثراء ايجابياته لكن «خافيار» تربى أيضاً على فكرة أن الثراء يحمل في طياته المسؤوليات أيضاً. فالإحساس بالواجب العائلي المغروس فيه لا يتيح له أن يحلم برفاهية العمل حُراً بعيداً عن شركة العائلة.

كما كان متأكداً تماماً في أعماقه، من أن جده لن يحرمه أبداً من الميراث، فتصرفاته لم توح يوماً بهذا. لم يكن باستطاعته أن يفعل الكثير من أجل جدّه، لكنه يستطيع على الأقل أن يتركه يلعب دور الطاغية عديم الإحساس لأنه يحب أن يلعب هذه الشخصية أمام الناس.

حدّق الجد والغضب بادٍ عليه إلى وجه حفيده القاسي الملامح وقال: «أظن أن لقرارك علاقة بتلك الفتاة الشقراء التي سمحت لـ «سيرج» بخطفها منك... لا تندهش هكذا يا بني».

وضحك ثم تابع يقول: «أتظنني أعمى؟ إذا اردت رأيي، فأنا أظن أنكما تشكلان ثنائياً فاشلاً...».

حبس «خافيار» غضبه بصعوبة في حين أضاف الجد: «... أنت طيّب ومطواع. لذا تحتاج إلى شخص ذي طبع أكثر حدّة».

أجاب «خافيار» بصرامة: «مثل «اريا»».

تنازل «فيليبي» عن موقفه: «حسناً، ليس بالضرورة آريا... ولكن إذا شئت أن تكون وريثي فعليك أن تتزوج قريباً».

ـ علينا ألا نتشاجر.. أقله ليس الآن.

فرد الجد عليه مرتجفاً: «لِمَ نغير عادتنا؟ فاذا رحت توافق على ما أقوله، ستلاحظ العائلة فوراً وجود خطب ما، وسيبدأ الجميع عندئذ

بملاطفتي، وهذا أمر لا أحتمله».

حين يعمل معاً شخصان عاجزان بالفطرة عن تقديم أي تنازلات، تنشأ بينهما شرارات. ولم تمرّ علاقة «خافيار» بجده من دون نزاع. كان «فيليبي» يجادل «خافيار» بصوت مرتفع في حين يلتزم ذلك الأخير الصمت. وكان «خافيار» يدرك تماماً أن منافسيه في العائلة غالباً ما يتمنّون أن يتخطى حدوده مع جده ليصرف الرجل العجوز اهتمامه عنه. إنما ما عجزوا عن فهمه هو ذلك الاحترام العميق المتبادل بين طرفي النزاع.

ـ أنا آسف.

ربّت الرجل العجوز على كتف حفيده وهو يغادر: «أنت غبي وعنيد».

يتمتع «خافيار» بقدرة غريبة على ضبط النفس، لذا أبعد المسائل الشخصية التي تقلقه وهو يترجل من سيارته. أحس فجأة بحرارة الطقس، إذ تشهد «مايوركا» هذا العام موجة حر شديدة لم تشهد مثلها من قبل.

نظر إلى ساعته الصغيرة الغالية الثمن وهزّ رأسه... ما زال أمامه بضع دقائق قبل الموعد. لم يكن يحتمل عدم التزام الآخرين بمواعيدهم ويرفض باستمرار أن يسيء استخدام مركزه بجعل الآخرين ينتظرونه فهو يعتبر الدقة في المواعيد دليلاً على السلوك الحسن والأدب.

راح «خافيار» يشق طريقه إلى البناء الحجري الضخم، وعجزت عينه، المعروفة بالتقاطها أدق التفاصيل، عن رؤية أي عيب أو خطأ في الحدائق الغناء الواسعة، وفي الأشجار الخضراء المشذبة بعناية فائقة. وحين وصل إلى حوض السباحة، كان المكان شبه خال إلا من بعض السواح الأغبياء الذين يتمشون عند ظهيرة يوم حار جداً في «مايوركا».

همست سائحة بحماسة وهي تخرج من حوض السباحة: «أرأيت من مرّ لتوه؟».

فتح زوجها عينيه الناعستين على مضض بعد أن أحس بيدين مبللتين تلامسان كتفيه: «من... ماذا...؟».

همست فيما حيّا الرجل الطويل القامة البستاني العجوز الذي مرّ به:

www.rewity.com
gege86

«هناك، إنه «خافيار مونتيرو»!».

ـ طبعاً، «فخافيار مونتيرو» على علاقة جيدة بكل العاملين على هذه الجزيرة...

ـ لا داعي للتهكّم. أنا واثقة من أنه هو. فما من رجل آخر يشبهه.

ـ كفاكِ تهريجاً يا «جان». وفكّري يا امرأة! ماذا سيفعل «خافيار» هنا؟.

أجابت وهي تشير إلى المنزل «المايوركي» الطراز الذي يعود إلى القرن الثالث عشر ويتميّز ببرجه المغربي: «ولِـمَ لا يكون هنا؟ فهو يملك المكان».

يؤمّن هذا الفندق الفريد من نوعه مخبأ لأولئك الذين يرغبون في التقاعد في مكان يجمع بين أحدث وسائل الراحة والإطار التاريخي، ويقدم أفخر المأكولات كما يؤمن عناية شخصية على أيدي فريق متخصص.

إن الإقامة في هذا الفندق مكلفة جداً، لكن هذا ينطبق أيضاً على الإقامة في الفندقين الآخرين اللذين يمتلكهما «آل مونتيرو» على الجزيرة. ويسعى كل فندق إلى إرضاء فئة معينة من الزبائن فالذين يبحثون عن روعة منطقة «البالما»، سيجدون ضالتهم في الفندق المُشيد وسط مدينة قديمة من القرون الوسطى. أمّا الزبائن الذين يبحثون عن فندق يضم ستة مطاعم عالمية، ومنتجعاً وكافة التسهيلات الرياضية التي عرفها الإنسان فسيعشقون الفندق المبني على الساحل الجنوبي للجزيرة.

وتساءل الرجل بحسد: «طبعاً، هذا الفندق والعديد غيره حول العالم، وشركة طيران، وميدان سباق الخيل، وشركات بناء... أما من مجال عمل لا يعمل فيه آل مونتيرو؟».

ثم تابع وهو يغمض عينيه مجدداً: «أشك حقاً في أن يهتم «خافيار مونتيرو» بتفاصيل إدارة الفنادق بنفسه».

ـ أنا واثقة من أنه هو.

ـ كما تشائين.

كان الرجل محقاً من جهة، فرغم أن «خافيار» يقوم بزيارات تفتيش مفاجئة إلى الفنادق الصغيرة التي يملكها، إلا أنه لا يشغل نفسه بمتابعة

إدارة هذه الفنادق عن كثب. فهو يستثمر مواهبه في مجالات أخرى.

في بداية مسيرته المهنية، أظهر قدرة على اكتشاف الفرص الجيدة في سوق العمل. لكنه لم يكن يقدم النظريات فحسب، فكلما تعرقل مشروع بسبب خلاف بين العمال أو نزاعات قانونية، كان «خافيار» الشخص الوحيد الذي يُمكن الاعتماد عليه لإعادة الأمور إلى مجاريها.

زادت المعلومة التي جعلته يحضر بعجلة إلى الجزيرة من حدة ملامح «خافيار» الوسيمة القاسية عندما قرع باب مكتب «سيرج».

ورغم أنه متوسط الطول إلا أن كتفيه العريضتين جعلتا الرجل الضعيف الأسمر الجالس وراء مكتبه يبدو أطول.

وقف «سيرج» وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مرحبة. وسلم الرجلان على بعضيهما: «خافيار»، مر زمن لم أرك فيه».

رد «خافيار» وقد لاحت على شفتيه شبه ابتسامة كانت لتصعق الصحفيين الذين يلقبونه «برجل الثلج»: «هذا صحيح. كيف حال «راوول» و«سارة»؟».

من رآه يبتسم الآن، ما كان ليخمّن أنه يجد صعوبة في نطق اسمها.

قال: «أين هي؟ رأيت سيارتها...».

ردّ صديقه بحزن: «تعطّلت أثناء زيارتها الأخيرة. يمكنك أن تضحك فأنت لم تضطر يوماً إلى دفع هذه السيارة اللعينة. باستثناء عنادها وعاطفتها غير المنطقية نحو هذه الخردة القديمة التي تسير على أربع عجلات، «سارة» على ما يرام ـ رغم أن ابنك بالمعمودية يحرمنا النوم».

ـ أظنك أجريت بعض الأبحاث من دون أن أكلفك بذلك.

هزّ «سيرج» رأسه: «أنا في خدمتك ساعة تشاء يا «خافيار». أعلم أنك لا تحب أن أقول هذا، لكننا لن نقدر على ردّ جميلك حتى لو عشنا مئة عام».

ـ أنت لا تدين لي بشيء يا «سيرج».

وغيّر «خافيار» الموضوع بسرعة: «بالنسبة لذلك الموضوع...».

ارتفع حاجباه السوداوان، وضاقت عيناه الزرقاوان في وجهه الأسمر

www.rewity.com
gege86

الداكن وقال: «أأنت متأكد من هذا يا «سبرج»؟».

تنهد «سبرج» وبدا متجهماً: «أخشى ذلك. فالتقارير التي وصلتك صحيحة».

ـ أتعرف الفاعل؟

ـ نادل يعمل في المنتجع، واسمه «لويس غونزاليس». شاب في الخامسة والعشرين من العمر تقريباً. عاد للعمل عند بدء الموسم...

لم يدوّن «خافيار» الاسم إلا أن «سبرج» متأكد من أنه لن ينسى اسم الرجل ولن يسامح الطرف المسؤول عن الجريمة. صحيح أن «خافيار» صديق لا مثيل له لكنه أيضاً عدو لدود.

سأل «خافيار» وهو يحاول السيطرة على أعصابه: «الأدلة؟».

ـ عمليات تزوير لا تشوبها شائبة.

ـ هل من شخص آخر متورّط بذلك، شخص أعلى مستوى...؟

أومأ «سبرج سيميون» برأسه.

هز «خافيار» كتفيه وراح يحدّق من النافذة إلى الشمس الحارقة وقال بغموض: «حسناً، هذا أمر مثير».

حين عرف «خافيار» أن أحد موظفي الفندق الذي يملكه على الشاطىء يؤمن المخدرات للنزلاء، لم يخاطر بتسليم القضية إلى أحد الموظفين، بل لجأ إلى شخص يثق تماماً بنزاهته.

ـ لم تبلغ الشرطة بعد أليس كذلك؟

ـ طلبت مني أن أنتظر. ماذا ستفعل يا «خافيار»؟

استدار صديقه وشعر «سبرج» للحظة بالأسى على المجرم. بدا وجه «خافيار» الطويل، الحاد الأرستقراطي الملامح خالياً من أي تعابير، وراحت عيناه العميقتان تلمعان غيظاً. كان «سبرج» يعلم أن «خافيار» لا يتسامح مع تجّار المخدرات ولا يتعاطف مع المتعاطين لا سيما إذا كان أحد العاملين في الفندق من المروّجين، فأخته الصغرى تعاطت المخدرات وكادت تموت بسببها. قال: «سنزور «لويس»».

حاولت «كايت أندرسون» إخفاء صدمتها وهي تنظر إلى الصور التي سلّمتها إياها أختها الصغرى بصمت بعدما سألتها: «لا يمكن أن يكون الأمر سيئاً إلى هذه الدرجة...؟».

تنهدّت وهي تحاول النظر بإيجابية إلى هذا الوضع السلبي ثم أعادت الصور إلى شقيقتها قائلة: «قد يكون أي شخص... من مزّق هذه الصور ورماها على الأرض؟».

كانت الشقيقتان تعلمان أن هذا الكلام مجرّد كلام فارغ بما أن الصور السلبية ليست بحوزتهما.

أضافت «سوزي» وقد ارتسمت على وجهها ثقتها الكبرى بقدرة أختها على حلّ هذه المعضلة، فهي تفعل ذلك بنجاح منذ عشرين عاماً: «أنا من مزّق الصور! عليكِ أن تساعديني يا «كايت». عليك أن تتصرّفي! يجب ألاّ تخبري أمي وأبي.. قد أموت إن...».

أطرقت «كايت» وهي تفكّر بردّ فعل والديها إذا رأيا صور ابنتهما الصغرى. اعترفت: «سيبدو الأمر غريباً عندئذ».

لم تشأ «كايت» أن تفكر في ما سيحصل لو وقعت هذه الصور في أيدي الصحافة. فهي واثقة أن عدداً من الصحف سيسّر بنشر صور فاضحة لابنة أحد قضاة المحكمة العليا.

ـ ماذا سأفعل إذا أرسل هذه الصور إلى «كريس»؟ سيظن «كريس» عندئذ أنني على علاقة بغيره؟

ـ ألستِ كذلك؟

ارتفع صوت سوزي: «أرأيت؟ أنتِ أيضاً لا تصدقينني. لويس مجرّد صديق أنقضي معه وقتاً ممتعاً. أنتِ لا تصدقينني. أليس كذلك؟ أعرف هذا...».

قالت «كايت» وهي تركز على المشكلة التي تواجههما: «أصدقك والآن أسكتي، يا «سوزي»، فأنا أفكر».

قطبت «كايت» وبرز تعارض لون حاجبيها الكثيفين مع لون شعرها

gege86

الذهبي الذي ورثته وأختها عن والدتها، فيما راحت تعضّ شفتها السُفلى بأسنانها البيضاء المستوية.

لم تكن ملامح «كايت» متناسقة بخلاف أختها. كان فمها كبيراً وممتلئاً وأنفها المعقوف لم يدفع الرجال يوماً إلى التغزّل به. أما عيناها البنيتان اللوزيتان فأجمل ملامح وجهها من دون شك، لكنهما مخبّئتان دوماً خلف نظارتين إطارهما كبير.

كان انطباع الناس الأول عند رؤية «كايت أندرسون» هو أنها امرأة شابة ذكية، فطنة وتخزّن الكثير من الطاقة في داخلها.

ـ ورثت «سوزي» مظهري أنا «كايت» فحساسة.

لم تعد «كايت» قادرة على إحصاء المرّات التي سمعت فيها والدتها تقول هذا وهي تحاول إخفاء عيوب ابنتها الكبرى «كايت».

أما والدها فكان يضيف بلطف: «إنها تعوّض عن النقص في جمالها الخارجي بشخصيتها الفذة المميزة».

كانت «كايت» تعلم أن هذا الكلام صحيح فلم تسأ كثيراً منه. لقد منحتها حساسيتها أسلوب حياة تستمتع به، لكنها تتمنى أحياناً، خاصة حين ترى ردّ فعل الرجال عند رؤية أختها، لو حظيت بالقليل من الجمال.

ظهر الانزعاج على وجه «سوزي» الجميل بسبب تشتت أفكار «كايت»، فهي غالباً ما تلقى تجاوباً أكبر من هذا حين تذرف الدموع.

رمت «كايت» بنفسها على كرسي، ووضعت يدها على خدّها وقد بدت ساخطة جداً: «لِمَ تورّطتِ مع ذلك الرجل منذ البداية؟ ألست مخطوبة «لكريس»؟ أكلّ شيء على ما يرام بينكما، أم أنك بدأت تتردّدين بشأن علاقتك به؟».

قطبت «سوزي» وقالت: «لا تقولي مجدداً إنني ما زلت صغيرة وإنه لم يحن الوقت كي أستقر».

ثم هزّت رأسها وتابعت: «أنا لست مثلك. أنا لا أطمح إلى بناء

مستقبل مهني، وخطوبتي لا تعني أنه يحظّر عليّ أن أمرح».

لم تتقبل «كايت» موقف «سوزي» هذا، فهي عنيدة للغاية لكنها ليست قاسية القلب كما تحبّ أن تدّعي.

ـ أردت أن تمرحي! أمَا استطعتِ أن تمارسي لعبة الكرة الطائرة؟.

ابتسمت «سوزي» ومدّت ساقها الطويلة المسمّرة إلى الأمام: «حسناً، لو وصلتِ الأسبوع الفائت، كما كان مقرراً، لما شعرت بالملل و...».

خطر «لكايت» أن «سوزي» هي الشخص الوحيد القادر على اللّف والدوران لتحمّل أختها في النهاية المسؤولية. «سوزي» حقاً لا تطاق!

ـ اضطررت للعمل، وأنت تعلمين هذا.

صرخت «سوزي» باشمئزاز: «العمل؟ هذا كل ما تفكرين فيه! لا عجب أن «سيب» قطع علاقته بك».

رفعت رأسها وأبعدت خصلة من شعرها الأشقر عن عينيها ثم ابتسمت معتذرة: «آسفة، كان هذا قاسياً مني».

وأردفت تدافع عن نفسها: «كانت هذه العطلة سيئة حتى قبل أن أتعرف إلى «لويس» إذ راح أبي وأمي يزوران الكنائس والأماكن الأثرية وأرادا أن أرافقهما فشعرت بالملل».

إن قضاء الوقت في زيارة الأماكن الأثرية لم يكن أبداً طريقة «سوزي» في المرح. وأضافت: «لطالما قلت إن قضاء العطلة مع العائلة في عمرنا هذا أمر مثير للمتاعب...».

عجزت «كايت» عن منع نفسها من التعليق: «ظننتك قلتِ إن قضاء العطلة مع العائلة ليس فكرة سيئة عندما علمت أن أبي سيسدد التكاليف كلها».

ـ أشكر الله على أنهما لم يختارا ذلك المكان الممل في الجبال الذي أحببته كثيراً. فما من شيء يستطيع المرء فعله هناك سوى مشاهدة العشب ينمو.

ـ كما أن ما من «لويس» هناك.

قالت «سوزي» بسرعة: «في الواقع يا «كايتي» أظن أنه وضع شيئاً ما في

gege86

كوب العصير عندما نزلت إلى الحوض. أعني، أنا لست متأكدة لكني أعرف فتاة تعرّضت لهذا مرّة. . . ».

لم تلاحظ «سوزي» مدى خوف «كايت» وأكملت حديثها من دون أن تعي أنها جعلت الدم يجمد في عروق شقيقتها: «لحسن الحظ وصلت مجموعة من أصدقائها في الوقت الذي بدأت فيه المادة الموضوعة في العصير تعطي مفعولها فهرب الشاب المسؤول عن ذلك. أما هي فانهارت وواجهنا صعوبة كبيرة في إعادتها إلى المنزل».

وتابعت «سوزي» وقد ظهر بعض التحفّظ في كلامها مما فاجأ «كايت»: «كان شعوري مماثلاً لشعورها بعض الشيء. كنت شبه عاجزة عن العودة إلى غرفتي. شعرت بدوار وبغثيان خفيف. . . ».

ردت «كايت» باشمئزاز: «يا له من منحط! علينا أن نبلغ الشرطة».

سخرت «سوزي» منها: «كوني واقعية يا «كايت»! فأنا أنتبه عادة إلى مثل هذه الأمور، فلا أترك أبداً ما أشربه على الطاولة بل أحمله معي باستمرار. وطبعاً، لا آخذ مرطباً أو أي عصير يقدمه لي رجل لا أعرفه».

قالت «كايت» مترددة: «طبعاً».

استمعت «كايت» إلى الاحتياطات التي تعددها «سوزي» والغريبة تماماً عنها وتساءلت عما إذا كانت بطبعها شخصاً يثق كثيراً بالناس أو متهوراً تماماً. فهي لم تأخذ يوماً مثل هذه الاحتياطات. . لكنها تذكرت أنها لم تواعد يوماً شاباً أغراباً بل أصدقاء لأصدقائها أو زملاء لها في العمل.

ـ ما يغيظني حقاً هو أنه لم يحاول أبداً التحرش بي فكل ما كان يسعى وراءه هو مال أبي.

ـ حسناً، الحمد لله على ذلك.

ـ أشعر أنني غبية جداً. كنت أتساءل عن أفضل طريقة لفسخ علاقتي به. ظننته مغرماً بي.

ثم أنّت بحزن وتابعت تقول: «يا إلهي يا «كايت»، ماذا يجب أن أفعل؟».

وضعت «كايت» يدها حول كتفي شقيقتها الصغرى وضمتها إلى صدرها، ثم قالت لها: «لا تقلقي يا «سوز» ستُسوى الأمور. آمل ذلك».

رفعت «سوزي» وجهها المليء بالدموع فجأة وقالت: «إذاً ستقرضينني المال كي أدفع له. . . ؟».

ردت «كايت» مستاءة لفكرة تعرضها للابتزاز: «لن نعطيه فلساً واحداً. سأحضر الصور والصور السلبية أيضاً».

ـ ولكن كيف؟

أقرت «كايت» بصراحة: «هذا ما لم أتوصل إليه بعد».

ـ اسمعي «كايت»، لا أظن أن هذه فكرة حسنة. ما أقصده هو أن «لويس» لن يسلمك الصور ببساطة، أليس كذلك؟ فقد رأيته مرة أو اثنتين يخاطب أشخاصاً مريبين. في الواقع، أظنه شريراً. . .

وكشرت ثم أضافت: «أظن بصراحة أن الخطر هو ما جذبني إليه. أتعرفين ما أعني. . . ؟».

ونظرت إلى أختها الكبرى التي رفعت النظارات عن أنفها: «لا أظنك تعرفين ما أعني. أعلم أنك تظنين أنني أنانية لكنني قد أذرف عليك دمعة أو اثنتين في حال أصابك مكروه بسببي».

أخرجت كايت محرمة من جيب سروالها القصير وربتت على أنف شقيقتها الزهري: «لا تقلقي! فأنا لا أنوي إيذاء نفسي يا «سوز»».

* * *

انتظرت كايت حوالى ساعة في الظلمة إلى أن تأكدت من أن المنزل فارغ. استنفد الانتظار الكثير من شجاعتها وحين حان الوقت لاقتحام المنزل شعرت بالغثيان وراح قلبها يخفق بشدة فخيل إليها أن صوت نبضاته مسموع. لم تشعر يوماً بخوف كهذا، حتى يوم وقفت ترافع للمرة الأولى في المحكمة بعد أن أصبحت محامية.

يا لحظها! فُتح الباب من المحاولة الأولى. شعرت بالارتياح إذ أدركت أنها لن تضطر إلى اختبار براعتها في فتح الأقفال. وأعادت بطاقة الاعتماد

www.rewity.com
gege86

التي أحضرتها لفتح القفل، إلى جيب بنطلونها الأسود الخلفي وسوت قلنسوتها التي غطت شعرها الأشقر كله.

أضاءت مصباحها وجالت به في أنحاء الغرفة المظلمة. بعدئذ، شقت طريقها بخفة بين الثياب المرمية على الأرض. ارتعش جسمها وحبست صرخة كادت تطلقها عندما تعثرت بقميص مرمي على الأرض. هذه المغامرة تثير اشمئزازها وخطر لها أنه بعد انتهاء كل هذا ستتناول شراباً بارداً وتأخذ حماماً ساخناً. ثم أحنت رأسها وهي تسلّط مصباحها على خزانة.

كانت يداها ترتجفان كثيراً لذا تطلّب فتح الجارور الأول محاولتين وهمست: «علي أن أركز».

ثم أخذت نفساً عميقاً وتشجعت. وفكرت وهي تمرّر أصابعها على مغلف بدا مثيراً للاهتمام: اليوم يوم حظي.

وفجأة، فقدت السيطرة على نفسها وأطلقت صيحة رعب حين أنار الغرفة مصباح قوي. وقبل أن تتمكن من النظر إلى الوراء أحاطت بها ذراعان قويتان ثبتتا يديها على صدرها فتقوس جسمها وارتفعت رجلاها عن الأرض.

معرفتها المحدودة للغة الإسبانية لم تمكّنها من فهم الأصوات الغاضبة المتقطّعة التي وصلت إلى أذنيها. راحت تحذيرات «سوزي» من ذلك المبتزّ وأصدقائه المشبوهين تطنّ في أذنيها فأخذت تقاوم بقوّة. راحت تضرب بيدها الطليقة محاولة إلحاق أكبر ضرر ممكن بمحتجزها، علّه يخفّف من قبضته المُحكمة. ووقع كرسيّ وعدد من الأغراض، من بينها نظّاراتها، ضحية محاولاتها الضارية لتحرير نفسها.

لكن محتجزها أبى إفلاتها حتى عندما داست بقوّة على قدمه، تماماً كما تعلّمت في صفّ الدفاع عن النفس. ارتاحت قليلاً عندما أيقنت أنّها آلمته بشدّة لأنه تمتم كلاماً بدا لها أنه شتيمة.

لم تكن «كايت» قصيرة القامة، ورغم نحول جسمها، فهي ليست ضعيفة وتحافظ على رشاقتها بممارستها الرياضة والجري باستمرار. لكنّها

سرعان ما أدركت أنّها لا توازي محتجزها قوّة. وبدا جلياً أنّ إمساكها لم يكن مهمة عسيرة عليه إذ لا يزال يتنفّس بشكل طبيعي جداً. أدركت أن الحوار هو الطريقة الوحيدة لخلاصها من هذا المأزق، خاصة وأنها محاورة جيدة. قالت وهي تحاول الإفلات: «أرجوك... دعني!».

ـ إنكليزي.

شكّل هذا السؤال الذي دوّى في أنحاء الغرفة الدليل الأوّل على أن محتجزها لا يفوقها قوّة فحسب بل عدداً أيضاً.

ـ أأنتَ إنكليزي؟

ظهر في الصوت الخفيض القريب من أذنها بحّة ضعيفة جذّابة. وخطر لها أنه حتماً أحد أصدقاء النادل، وتذكرت تعليقات سوزي على إنكليزية «لويس» الرائعة.

ردّت بكلّ فخر: «طبعاً أنا إنكليزية!».

دوّى صوت في أنحاء الغرفة: «امرأة...؟».

قال محتجزها بخشونة قبل أن يعاود الحديث بالإسبانية: «لقد لاحظتُ ذلك».

فكرّت «كايت» وهي تحاول جاهدة فهم كلامه: لا بدّ أنه يناقش ترتيبات التخلّص من جثّتي. كم من الوقت سيمرّ قبل أن يفتقدني أحدهم؟ وأيقنت برعب أنّ أحداً لن يفتقدها قبل الصباح على أقرب تقدير!

كانت قد تركت والديها عند العشاء مدّعية أنها تعاني من صداع، وإذا استمرّت «سوزي» بتناول الطعام بشراهة كما كانت تفعل فلربّما ستموت الليلة أو تقضي أمسيتها في المستشفى.

ـ سأضعك أرضاً الآن ولا تحاولي الهرب.

هزّت كايت رأسها موافقة رغم أنّها مصمّمة على عدم تنفيذ الأمر ما أن تتاح لها الفرصة المناسبة.

وبعد أن تحرّرت من القبضة الفولاذية ولامست رجلاها الأرض مجدّداً، بدت «كايت» غير متماسكة. لكن أعصابها لحسن الحظ، كانت أكثر متانة.

www.rewity.com
gege86

رفعت ذقنها قليلاً وارتدت حُلّة البراءة وهي تستدير لتقابل أعداءها.

قالت وقد رفعت يدها لتحمي عينيها من ضوء المصباح: «أتستطيع إبعاد هذا المصباح عن عينيّ؟».

واستجاب أحدهم لطلبها بعد لحظة.

رأت الشخص الذي يقف على مسافة منها ظلالاً بعد أن فقدت نظاراتها لكنّها علمت أنه شخص يهدّدها. أمّا الشخص الذي أمسك بها فقد كان مختلفاً. كان قريباً جدّاً منها، لذا تمكّنت من رؤيته. لاحظت أنه، شأنها تماماً، مغطى بالأسود من رأسه إلى أخمص قدميه.

كانت قد أحسّت بصدره القاسي وبعضلاته القوية أثناء مقاومتها له، لكن ما رأته بعدئذٍ، جعلها صامتة صمت القبور. رمشت بعينيها مراراً وهي تحاول تمييز ملامح مهاجمها الذي تبيّن، وبسخرية من القدر، أنه الرجل الأشد وسامة ورجولة ممن التقتهم في حياتها. فهو يتمتع بمواصفات رائعة: كتفان عريضتان، وركبان نحيلان وساقان طويلان، أمّا وجهه... فحدّث بلا حرج...!

يا إلهي! يا لجمال وجهه! عجزت عن إيجاد صفات ملائمة تصف بها جماله وغرقت في تفاصيل ملامحه الجذابة البارزة.

وجهه قاسٍ كمن لا يقبل التسوية، جبينه عالٍ في دليل واضح على حدّة ذكائه، أنفه الحادّ ذكّرها بالتراث المغربي الذي رأته في أنحاء عدّة في إسبانيا، وخدّاه المنحوتان بروعة والمفعمان بالحيوية يشدّان بشرة وجهه الذهبية، أما فمه فمزيج يخطف الأنفاس من السيطرة والشغف. ولفتها جسمه المنحوت الذي يجعل من المستحيل تجاهله ولو بين حشد من الناس. وطُبعت عيناه الزرقاوان الغريبتان ورموشه الكثيفة، بصفة الاستثناء لا بل الغرابة.

ضاقت العينان الزرقاوان حين راح يتأملها كما فعلت تماماً، لكنّه لم يبد معجباً كثيراً بما رأى. بعدئذٍ، سألها وقد نفد صبره: «والآن يا آنستي، أين «غونزاليس»؟».

* * *

٢ ـ خطر في عينيه

هزّت «كايت» رأسها من دون أن تتفوّه بكلمة.

حدّق إليها مجدّداً بسخرية لاذعة ثمّ توجّه إلى رفيقه بالإسبانية فأطفأ ذلك الأخير المصابيح على الفور.

مرّت لحظة لم ترَ فيها «كايت» سوى ظلمة حالكة. راحت تفكّر مذعورة بالوصول إلى الباب الخارجي والهرب قبل أن يمسك بها هذان الرجلان. عليها أن تجازف. ماذا ستخسر؟ جاء الردّ سريعاً: سأخسر الكثير كما أنني لم أحصل على الصور بعد.

ـ إياكِ أن تفكّري في هذا!

ارتجفت عندما دوّى الصوت الساخر ليبدّد أفكارها المذعورة وظهرت ملامح الرجل الآخر الذي تشدّق في الظلمة عندما فتح رفيقه الستارة وانساب نور القمر ليضيء الغرفة.

رمشت «كايت» بعينيها وقد بهرها ضوء المصباح الذي سُلط على وجهها، وبعد أن أُبعد الضوء عن عينيها رأت الرجل الثاني يهزّ برأسه.

سألها الرجل الطويل القامة الذي بدا أنه المسؤول: «أتتوقعين مجيئه الليلة؟».

ردّت بصراحة: «أنا لم ألتقِ «غونزاليس» يوماً».

شكت «كايت» في أنها وقعت وسط نزاع بين رجال أشرار لذا خشيت أن تكشف عن أي معلومات قد تزيد وضعها سوءاً. قرّرت بمرارة أن تلعب دور الغبية فهذا هو الحل الأنسب في ظل الظروف الراهنة، وأدركت أنهما

www.liilas-dewity.com
gege86

كانا ينتظرانه.

لم يقنع جوابها الساذج مستجوبها القاسي.

ـ أنتِ تتجوّلين هنا صدفة مرتدية هذه الثياب؟

وجالت عيناه على الثياب التي ترتديها لتنفيذ أول عملية سطو لها.

صدر السؤال بقسوة من بين تلك الشفتين الرائعتين، فعجزت عندئذ عن ضبط الخوف الذي تملّكَ جسمها كله.

وردّت وهي تنقل نظرها من رجل إلى آخر: «أأنت من يقول هذا؟».

كان الرجلان قويي البنية ويرتديان ثياباً سوداء. بدا الأمر وكأنهم في مؤتمر للسارقين.

قال: «أتجدين الأمر مضحكاً؟».

اختفى الرجل الآخر في الظلمة كي يتيح لرفيقه فرصة التحدّث إليها. لعله رجل الأفعال وصديقه رجل الكلام، رغم أن صديقه لا يحتاج إلى مساعدة في هذا المجال، هذا ما خطر لها وهي تحدّق إلى صدره القوي. أنذرها صوت صارخ في داخلها: كفاكِ أحلاماً!

أخذت «كايت» نفساً عميقاً وأبعدت خوفها وأفكارها الغريبة وحاولت تقويم الوضع بموضوعية أو على الأقل من دون أن تخاف أو تتشتت أفكارها. إذا أرادت التخلص من هذا الوضع فعليها أن تحلّ الأمور معه. حدّقت إليه وقرّرت أنه سبق لها أن رأت رجالاً أكثر جاذبية منه.

قالت: «آه، نعم أتوق توقاً شديداً لأن يعانقني في الظلام قاطع طرق ضخم وغبي».

ثمّ تذمّرت: «غداً ستغطي جسمي الرضوض ولن يكون شكلي جميلاً وأنا أرتدي ثياب البحر».

كان التحدّث، ولو بكلام تافه يمنحها الوقت للتفكير... على الأقل هذا ما ظنته.

ـ إذا كنت قاطع طرق شريراً محدود الذكاء. ألا تعتقدين أنه عليكِ أن تعامليني بشيء من الاحترام؟

كان الرجل محقاً، أما بالنسبة للذكاء فعيناه اليقظتان تتقدّان ذكاء.

ـ أتهدّدني؟

ـ لو كنتُ أهدّدكِ لعلمتِ هذا؟

ـ لا أرى تهديداً بل تباهياً.

خافت عندما رأت عينيه الثاقبتين تلمعان ببريق اهتمام. كان السبيل الوحيد لنجاتها أن يعتبرها غير مؤذية وغبية قليلاً. ورغم اقتناعها بهذا عجزت عن ردع نفسها عن القول: «عادة، أدع مجالاً للشك قبل أن أحكم على الأشخاص. لكن الآن وفي ظل هذه الظروف لا مجال للشك أبداً. أنت قاطع طرق شرير. نعم، عليّ أن ألتزم الصمت ولكن حين أكون متوترة أثرثر من دون توقف... أنا دائماً أفعل هذا...».

قاطعها بهدوء: «لا أعتقد أنك متوترة، أظن أنك تخفين وراء براءة هاتين العينين الواسعتين صلابة وقوّة. هل اتفقت مع «غونزاليس» على اللقاء هنا؟ أم لعله أرسلك إلى هنا لتحضري له غرضاً ما؟ أيعلم أننا علمنا بأمره؟ حسناً؟».

ـ لن تستفيد شيئاً إذا ما تذاكيت.

رأت بريق استغراب يظهر على ملامحه القاسية وتساءلت إن كانت جريئة أم غبية لتجرؤ على تحديه بهذه الطريقة. في الواقع، إنها عاجزة عن ضبط لسانها، ففي هذا الرجل أمر غريب يجعلها ترغب في انتقاده بقسوة. وردّ بنغمة انزعاج قاسية: «أنا لا أتذاكى».

ابتسمت غير مصدقة فسمعت صرير أسنانه ثم قالت: «لن يفيدك ذلك بشيء لأنني أجهل تماماً ما تتحدّث عنه».

وهزّت رأسها بقوّة فانزلقت القبعة عن رأسها.

ارتفع أحد حاجبيه عندما انسدل شعرها الأشقر على كتفيها وانقبضت معدتها حين رأت عينيه الزرقاوين تتأملان جسمها بحدة.

غطت «كايت» شعرها بيديها. وبعد أن أدركت أن ما فعلته غير ضروري أسقطت يديها ورأت أن شعراً أسود قد علق في قبضتها.

www.rewity.com
gege86

وبحركة تلقائية، فتحت أصابعها كي تزيل الشعر عنها. لم يكن من الحكمة تذكير شخص عنيف مثله باللحظة المؤلمة التي اقتلعت فيها خصلة من شعره الحريري الكثيف. شعرت بأصابع يديها ترتعش وهي تستعيد ذكرى لمسة شعره. وفكّرت، بما أن شعره كثيف هكذا، فهو لن يتضرر كثيراً بسبب اقتلاعي بضع شعرات من رأسه.

وانهال عليها بوابل من الأسئلة من دون أن يحيد نظرته الثاقبة عن وجهها ولو للحظة: «لعلكِ تعرفين أنه ليس في المنزل... لعلك تقومين بهذه العملية بمفردك؟ أكنت تستغلين غيابه لتأخذي شيئاً ما؟ سيرج، ما تراها كانت ستأخذ من الجارور؟».

كان الوضع مخيفاً ويبدو أن هذا الرجل ثابت على موقفه، و أن مياهاً مثلّجة تجري في عروقه.

اعترفت «كايت» بانزعاج فيما الرجل الصامت الضخم يتجه بخطى سريعة إلى الخزانة: «صحيح أنني لم أحضر إلى هنا صدفة».

خافت «كايت» فراح قلبها ينبض بسرعة، وهذا شعور طبيعي يتملّك حتى الأشخاص الأكثر هدوءاً في ظروف مماثلة. أدركت «كايت» أن الخوف لم يكن إلا جزءاً من الموضوع إذ ثمّة شيء آخر يثير اضطرابها. فسبب انهيار أعصابها الوشيك هو ذلك الرجل! حدّقت بغضب إلى ذلك الوجه الغريب الساخر فاعتصر الألم معدتها.

كان الرجل جذاباً بشكل لا يصدّق! إلا أن الوقت ليس ملائماً كي تحلّل ردّ فعلها على مستجوبها البارد الأعصاب، إذ عليها أن تركّز وتفكّر بوضوح.

التفكير بوضوح ليس أمراً يسهل القيام به إذا راودك شعور مزعج ومكدّر. أثرى سوزي ليست الفرد الوحيد من عائلة «أندرسون» الذي يجذبه الخطر؟ خاصة إذا كان مصدره رجلاً وسيماً كهذا... آه يا إلهي! كم أنا سطحية! . من الآن فصاعداً لن ترضى بمظهرها المثير للشفقة، هذا ما قرّرته «كايت»، وقد تملّكها شعور عظيم بالذلّ.

ـ عُدْت لأسترجع شيئاً لا يخصّ السيد غونزاليس إنما... يخصّني.

حاولت إبقاء صوتها هادئاً إلاّ أنها عجزت عن عدم النظر بعصبية إلى الرجل الذي يبحث في الجارور بعد أن رمى محتوياته كلها على الأرض.

تصبّبت «كايت» عرقاً بسبب الخوف وحرارة الغرفة فالتصق قميصها الرقيق بظهرها وتدحرجت حبّات العرق من جبينها إلى خدّيها. رطّبت شفتيها باضطراب فيما أدركت أن العينين الزرقاوين تخترقان عقلها.

لقد راقبت مراراً تصرّفات المذنبين وأيقنت أن علامات الذنب تبدو واضحة عليها.

ـ أعتقد أنها كانت تُمسك بهذا يا خافيار.

لم تستطع «كايت» منع نفسها من الاندفاع بقوة نحو مغلّف الصور الذي كان الرجلان يتبادلانه وصرخت: «إنها لي».

قاومت للحظات الأصابع الفولاذية التي أطبقت بقسوة على خصرها قبل أن تنزل أصابعها المخيّبة وظهرت دموع الألم والإحباط في عينيها وهي تحدّق باختناق إلى مضطهدها.

ـ لا يحقّ لك...

واختفى صوتها عندما رأت خافيار يفتح المغلّف المقفل بإحكام. وراقبته، وقد تملّكها الرعب، وهو يسحب صورة من المغلّف ويحملها عالياً.

احمرّ وجه «كايت» حين راح ينقّل نظراته الفاحصة بين الصورة التي في يده وبينها إلى أن أعاد الصورة إلى المغلف مجدّداً، ثمّ حمل مجموعة من الصور السلبية ورفعها نحو الضوء، فاتسع أنفه وارتجفت شفتاه بنفور وهو يلقي نظرة خاطفة على الصور.

طرح الرجل الآخر سؤالاً بالإسبانية فردّ عليه باللغة نفسها وضحكا. شدّت «كايت» قبضتيها وصرّت بأسنانها، وقد تمرّد كلّ شعور إنساني فيها لفكرة أنّ هذين الرجلين يسخران من سوزي.

www.rewity.com
gege86

ـ أتعيشين من هذا العمل، أم أنها مجرّد هواية تمارسينها؟

فتحت «كايت» فمها متفاجئة. يخال أنّ الصور صورها!

لكانت شعرت بالإطراء في ظل ظروف مختلفة لو أن أحدهم خلط بين جسمها وجسم شقيقتها الصغرى الجميلة، أمّا الآن فقد أزعجها هذا الأمر. مرّت أوقات شعرت فيها بالحرج من أختها وبرغبة مفرطة في حمايتها أمّا الآن فهي تشعر بالسخط نحوها.

لو لم يكن ردّ فعل خصمها سريعاً لضربت قبضتها خدّه النحيل. عاشت «كايت»، التي لم تفكّر يوماً باللجوء إلى القوة الجسدية، لحظة ارتباك وصدمة من أفعالها قبل أن تجتاحها رغبة ملحة في الهرب.

صرخت قبل أن تهمد عيناها اللامعتان وتبدأ أنفاسها بالتقطّع: «أفلتني!».

اتسع أنفها وهي تشتمّ رائحة عطره الرجولي الذي داعب حواسها قبل أن يقع نظرها عليه. لقد أزعجتها هذه الرائحة عندئذ وها هي تزعجها الآن أكثر.

قال بازدراء: «لقد ظهرت الآن على حقيقتكِ. هدّئي من روعك أيتها القطة الصغيرة فأنا لا أهتم البتة بصورك الرخيصة، يمكنك الحصول عليها...».

ارتاحت «كايت» بشكل مثير للشفقة لدى سماعها هذه الكلمات المزدرية حتّى أنها كادت تبكي. حاولت الحفاظ على شيء من كرامتها، ورغم أنها لا تزال تلهث متعبة، نظرت بحدّة إلى أصابعه السمراء التي تمسك بخصرها وبذلت جهداً كبيراً لتتجاهل نبرة صوته. لا يمكنها أن تفقد أعصابها، ففي يده الصور وعليها أن تحصل عليها حتى ولو اضطرت إلى تحمّل بعض الذلّ.

ارتسمت على وجهه شبه ابتسامة ساخرة جعلت أصابع «كايت» تتوق إلى صفعه ومحو هذه الابتسامة عن وجهه. ثمّ أفلت «كايت» ومال برأسه ساخراً ليقول وقد تلاشت الابتسامة الهازئة عن وجهه تماماً: «عندما أحصل

على المعلومات التي أريد...».

هبطت كتفا «كايت» فيما بقيت عيناها مسمرّتين على الصور الموضوعة بعيداً عن متناولها. وسُرعان ما أدركت «كايت» أنه يلهو، لكن المشكلة أنها عاجزة عن وضع حدّ له.

تنهّدت متعبة، وفركت خصرها الناعم، وقد بدا أن أصابعه السمراء انطبعت عليه ثمّ قالت: «لا أعلم شيئاً».

أجابها ساخراً: «كفيّ عن لعب دور البريئة. من الواضح أنك تعرفينه إلا إذا كنت ترسلين صوراً جريئة لك إلى الغرباء...؟».

احمرّت وجنتاها غضباً وقالت: «إنها ليست صوراً جريئة...».

وكشّرت عندما تذكرت الصور ثم أضافت: «إنها صور فنية».

تمتم بصوت مهين: «إنها فنية حقاً، إذاً ما العلاقة التي تربطك به؟ أهو حبيبك أم مزوّدك؟».

تعجّبت: «مزوّد».

واتسعت عيناها عندما فهمت ما يجري: مخدّرات!! آه يا إلهي! بمَ ورّطتِ نفسي؟ هل لويس فونزاليس متورط مع رجال عصابة مهمّين؟ أحَضر هذان الرجلان كي يلقّناه درساً، أم للقيام بأمر أفظع...؟

تمتمت: «ثمة سوء تفاهم، أنا لا أعرف شيئاً عن المخدرات».

ـ طبعاً لا تعلمين.

شعرت بإحباط بالغ واغرورقت عيناها بالدموع، فرمشت وحاولت جاهدة منع هذه الدموع من الانهمار. ليتها تستطيع أن تنتحب كما تفعل سوزي! فقد تجديها الدموع نفعاً، لكنّها لا تظن أن هذا الرجل سيتأثر إذا احمرّ وجهها وسال أنفها.

ـ لمَ لا تصدّقني؟ أأبدو مدمنة على المخدرات أو ما شابه؟

ـ كيف يبدو مدمنو المخدّرات؟

وأطرق خافياً: حبّذا لو تمكّن من قراءة العلامات جيداً! لجنّب أخته أشهراً من إعادة التأهيل المضنية.

www.rewity.com
gege86

ـ عليك أن تعرف ذلك، فهذا شأنك وليس شأني.

قست ملامحه وجمدت كلّ عضلة في وجهه أمّا عيناه فلمعتا سخطاً وسألها: «أعجز عن فهم النساء مثيلاتك! لمَ تحمينه؟ أتخشينه أم أنك تحسّين بنوع من الوفاء غير المبرّر تجاهه؟ يحرّك الرجال أمثاله إلى مستواهم، وحين تصلين إلى القعر، يتخلون عنكِ».

وفجأة، أمسك يدها وطوى كُمّ قميصها ومرّر إصبعه على الشريان الأساسي في ذراعها اليسرى. بعدئذ أدناها من الضوء وجال بعينيه الحادتين على ذراعها الخالية من أي أثر، بحثاً عن دليل واضح على إدمانها على المخدرات.

ارتجفت «كايت» عاجزة فيما مرّ الضوء على ذراعها بأكملها. بدأت تشدّ إلى الخلف محاولة الابتعاد عنه ثمّ توقفت فجأة كما لو أن سحراً ألقي عليها. تسمّر جفنا عينيها المرهقين عندما رأت أصابعه السمراء تمرّ على ذراعها، وتملكها فيض من الحرارة فيما بدأ الطنين البعيد في أذنيها يعلو تدريجياً.

وعادت تتنفّس بشكل طبيعي عندما أفلتها.

ـ أأنت راضٍ الآن؟

وأنزلت كُمّ قميصها بتعالٍ.

ـ ليس تماماً.

انقبضت عضلات معدتها عندما أدركت ما ينوي فعله. تصادمت عيناها الغاضبتان ونظرته المحدّقة الخالية من أي تعبير لثوان قليلة قبل أن تذعن.

قالت ساخرة وهي ترفع كُمّ ذراعها اليُمنى: «دعني!».

ورفعت ذقنها متحدّية ثم مدّت ذراعها أمامه.

توقّعت أن يشيح نظره محرجاً، مصدوماً أو مشمئزاً، فقد خبرت ردّات الفعل هذه كلها والتي لطالما اعتبرتها مبالغاً فيها، فالمساحة المجعّدة من يدها والتي يختلف لونها عن لون باقي ذراعها صغيرة. وثمة علامة أخرى أصغر

على كتفها عجزت الجراحة التجميلية عن إزالتها كلياً.

من المدهش حقاً ما تستطيع فعله شائبة صغيرة بالناس! وقد رأت «كايت» منذ زمن أن انزعاج الناس بعد رؤيتهم جرحها مشكلتهم وليست مشكلتها، وهي لن تقضي حياتها محاولة إخفاء الندوب التي لا تزال تحملها جراء حادث تعرّضت له في طفولتها.

هذا الرجل لم ينفر كما أنه لم يتصرّف بتهذيب ويدّعي أنه لم يلاحظ الندبة. كان «سيب» يدّعي عدم الانزعاج لكنه لم يستطع يوماً أن يلمس الجرح.

لم يتملك هذا الرجل أيّ شعور مماثل، بل أمسك الذراع التي مدّتها «كايت» وراح ينظر إليها ويتفحّصها وهو يمرّر إبهامه بخفة على الجرح. وارتجفت «كايت» فنظرت العينان الزرقاوان إليها.

ـ جِرْق؟

طرح سؤاله هذا من دون أن يشعر بأيّ شفقة حيالها فـ«كايت» أصبحت ملمّة باكتشاف الشفقة على مرّ السنين.

سعلت بعد أن شعرت أنّ حنجرتها جافة: «أأنت دائماً فضولي هكذا...؟».

ـ أتنزعجين من مناقشة الأمر؟

لم يكن هذا الرجل غاضباً، شريراً وخطراً فحسب بل خبيراً أيضاً في علم النفس. إن الأمور تتحوّل من سيء إلى أسوأ!

ـ ليس مع مهووس بالقتل.

ـ أتعرفين أناساً كثيرين مهووسين بالقتل؟

هزّت «كايت» رأسها وقالت بثقة: «معظم الجرائم منزلية، يرتكبها أفراد الأسرة ببعضهم».

ثمّ تابعت بعد أن أشارت ببرود إلى ذراعها: «إذا اكتفيت مما تراه... أتمانع...؟».

صَعُب عليها حقاً التصرّف ببرودة في حين أن لمسته جعلتها ترتجف.

www.rewity.com
gege86

استقام والتقت أعينهما مجدّداً. أحسّت «كايت» أنه أدرك أنها تدّعي الشجاعة، وأنها كانت يوماً مراهقة مضطربة تحاول جاهدة التأقلم مع تحديق الناس إليها أو توجيههم النقد اللاذع إليها.

أزعجها الشعور بالضعف، فهزّت رأسها محاولة إبعاد الوهم المخيف عنها وأنزلت كُمّ قميصها.

قال بقسوة وهو يمرّ بيده على الجُرح من فوق القميص: «آمل أنك لا تخفين نفسك طيلة الوقت».

رأت أنّ هذا الموقف يتحوّل إلى مهزلة، فهي تتلقّى النّصح من شخص ينتظر المبتزّين وتجار المخدرات في غرفة مظلمة. لعلّ عملها مع المجرمين جعلها ترتبط نوعاً ما بهم، على حدّ قول والدتها. عملها هذا جعل نظرتها إلى الحياة ملتوية وساخرة.

ـ فقط عندما أقوم بعملية كسر وخلع.

عضّت شفتها... لم تكن السخرية أمراً مستحباً في وضعها هذا. شجّعتها ومضة المرح التي بدت في عينيه فأشارت برأسها إلى الصور، ثم قالت له بنبرة مقنعة وهي تفكّر في أنه في النهاية إنسان: «اسمع! أنا بصراحة لا أعرف صديقك، فلِمَا لا تدعني أهرب وتنسى أنك رأيتني يوماً؟».

ـ صديق! بحق السّماء...!

تراجعت «كايت» عندما بدا الغضب واضحاً في نبرة صوته وتابعت التراجع إلى أن سعل فجمدت في مكانها. نظرت إليه فرأت أنه تمركز، وقد لفّ ذراعيه على صدره، أمام المخرج الوحيد.

ـ قلتُ لك إني لا أعرفه. أنا ضيفة هنا. وصلت اليوم لتوّي...

كانت «كايت» تناشده حين ظهر الرجل الثاني. أدارت رأسها فأصبح ضوء المصباح الكهربائي الذي يحمله مسلطاً على عينيها مباشرة وقال: «إذا أخلينا سبيلها، فقد تنذره بأننا نسعى وراءه».

سمعت «كايت» ملاحظته الساخرة فشحب وجهها خوفاً ثمّ قالت بحدّة: «ماذا تعني بكلامك هذا؟ حاولا إيذائي أو منعي من الرحيل

وسأُحدث عندئذ ضجة...».

أجفل المسؤول من حدّة نبرتها: «أحدثي المزيد من الضجة وسيتصل أحد النزلاء أو أحد العمّال بالشرطة».

كانت هذه الأخبار أفضل ما سمعت طيلة اليوم. ألم تستقل اليوم الطائرة إلى «بالما»..؟ لكن لم تكن هذه نهاية اليوم التي حلمت بتمضيتها.

اقترحت بقوة وهي تمدّ يدها لإحضار الهاتف: «فلتتصل بالشرطة».

لم تُثر ندبتها خوف خافيار لكنها أحسّت الآن أن كلامها جعله يتراجع. لعله محقّ، لعلّها تتصرف بغباء لكنها واثقة من أن الدموع والتوسّلات لن توصلها إلى غايتها.

لوّح بمغلّف الصور قائلاً: «سأضطر عندئذ إلى تسليم هذه الصور».

ردّت وقد فهمت خدعته: «وسيصدّقون قصتك؟ أظنني أملك مصداقية أمام الشرطة أكثر منك».

هذا الكلام جعل سيرج يضحك لسبب ما، إلاّ أنه انتبه بسرعة قبل أن يرمقه خافيار بنظرة تشير إليه بالصمت.

ـ أتعتقدين هذا؟

شخص مثله لن يكشف للعيان فزعه عندما يُهدّد بالشرطة. لعلّه يخفي تجارته غير الشرعية خلف غطاء شرعي.

ـ أنا شخص محترم جداً.

ـ قد أغيّر رأيي عندما أسمع نبرة صوتك المقنعة وأرى عينيك البنيتين الواسعتين... أمّا رجال الشرطة فيحتاجون إلى دليل مادي.

ـ أتريد دليلاً؟... حسناً.

رمته بابتسامة ظفر عندما تذكّرت بطاقة اعتمادها التي وضعتها في جيب بنطلونها. رفعت بطاقة اعتمادها في وجهه وقالت: «هذه أنا. ك. م. أندرسون. أتقاسم غرفتي مع... مع صديقة...».

ظنت أنّ ما من داعٍ لإقحام سوزي في الموضوع.

أجاب وقد ألقى نظرة سريعة على بطاقة الاعتماد الذهبية: «لعلّك

www.new-yu.com
gege86

سرقتها! في الواقع، وفي ظلّ هذه الظروف أنا لا أستبعد حصول هذا».

لمعت عينا «كايت» غضباً حين رأته ينظر إلى صدرها وأحسّت بقلبها يخفق بسرعة. وازداد غضبها حين راح جسمها يرتجف و تسارعت نبضات قلبها.

تحدّته بازدراء: «من الأمور التي أكرهها: الرجال الذين لا ينظرون إلى وجه المرأة وهم يحدّثونها».

شدّت هذه الملاحظة انتباهه فتركزّت العينان الزرقاوان بحدّة على وجهها.

لم تصدر الضحكة الخافتة عن الرجل الذي جعلها بسبب تفحصّه المبهم تتمنى لو لم تُثِر الموضوع، بل عن شريكه.

قالت بصوت منقطع: «كما سبق وقلت لك أنا لم أسرق هذه البطاقة. إنها لي. أحضرتها معي في حال كان الباب...»

وتوقفت فجأة عن الكلام، واتسعت عيناها فزعاً حين أدركت أن ما تقوله يورّطها.

ـ مقفلاً...

وبدت الخطوط التي تحيط بعينيه الزرقاوين أكثر حدّة.

أحست «كايت» بالذنب فاحمرّت وجنتاها.

ـ يا لكِ من امرأة واسعة الحيلة... إلاّ أنكِ لم تخبريني بعدُ ما الذي تفعلينه هنا.

همست بعدوانية: «لمَ عليّ أن أفعل هذا؟ فأنت لم تخبرني عن سبب وجودك هنا. وأنا واثقة منّ أنك لم تتلق دعوة للحضور».

قطع حديثها بسرعة قبل أن يتوجّه إلى رفيقه: «هُس!! سيرج، أسمعت هذا؟».

لمحت «كايت» في عينيه الزرقاوين ومضة ترقّب جعلتها تدرك أنها تتعامل مع شخص يعشق الإثارة والخطر، شخص يخاطر بأن يُلقى القبض عليه. لطالما لاحظت هاتين الصفتين المترافقتين مع عدم الاكتراث بالقانون،

عند بعض موكلّيها. إنهم رجال وظّفوا مواهبهم في أعمال معادية للمجتمع، علماً أنهم كانوا قادرين على أن يصبحوا رجال أعمال ناجحين أو محامين أكفّاء مثلها.

أومأ الرجل الآخر وقال بصوت منخفض: «قد يكون غونزاليس».

أُطفىء النور فجأة وسمعت «كايت» صوت خطوات على الأرض المبلّطة. لم تحفل «كايت» بهوية الشخص القادم، فقد أتيحت لها الآن الفرصة التي تنتظرها، وفتحت فمها كي تطلب النجدة.

وقبل أن يتسنّى لها أن تصرخ، أطبقت يد قوية على شفتيها ولوت أخرى ذراعها خلف ظهرها. وهمس صوت ساخر قاسٍ في أذنها: «أتحاولين إنذار حبيبك؟».

حاولت «كايت» أن تدير رأسها، وقد أزعجها إحساسها بأنفاسه الدافئة قرب عنقها وخشيت المشاعر التي تملكتها، فقال لها: «لا أعتقد هذا...».

لم يكن أمام «كايت» حلّ آخر إذ أن اليأس اعتراها في هذه اللحظة، فعضّت يده بكلّ ما أوتيت من قوة.

لم يصرخ خافيار، رغم أنها أحسّت بطعم الدم المالح على لسانها، بل أرخى قليلاً قبضته، فجاءت اللحظة التي انتظرتها واستطاعت أن تفلت منه. وبدأت تركض بسرعة كعدّاء يأمل يائساً الوصول إلى خطّ النهاية.

* * *

www.liilwity.com
gege86

٣ ـ مجرم حنون

فتحت «كايت» عينيها وأنّت ثم نظرت حولها باستغراب. لقد استيقظت لترى نفسها ممدّدة في سرير غريب في غرفة نوم غريبة. لم تكن أحداث حياتها كلّها مفرحة لكن ما يحدث معها الآن فاق الحد.

لا، لم تفقد ذاكرتها، فهي تذكر اسمها ورقمها السّري وغيره من التفاصيل الشخصية. لكنها عاجزة عن تذكر الأحداث التي دفعتها إلى التواجد في هذا السرير. لعله أسلوب حياة اعتاده عدد من الفتيات لكن ليس هي. قالت في سرّها: لا تهلعي يا «كايت»! ثمة تفسير منطقي لما يجري.

إلا أن المشكلة هي أنها عجزت عن التذكّر مهما حاولت. حاولت جاهدة حل المسألة فلم تنل إلاّ ألماً حاداً في دماغها.

آخر ما تتذكّره هو صعودها في الطائرة المتوجّهة إلى «بالما» وذكريات هذه الرحلة واضحة تماماً في رأسها، فقد أمضت رحلتها وهي تحمل طفل امرأة تسافر بمفردها مع ولدين صغيرين، أحدهما نكد وعمره ستة أشهر. وأظهرت الأم امتنانها لها لأنها ساعدتها، أمّا الطفل فعبرّ عن شكره بأن تقيأ على بذلتها البيضاء.

خطرت في بالها فجأة فكرة مستحيلة... ماذا لو لم تكن بمفردها في هذا السرير الغريب؟ حبست أنفاسها، والتفتت ثم أطلقت تنهيدة ارتياح عندماوجدت أنها بمفردها في السرير.

دخل خافيار الغرفة فيما كانت تربّت على المخدة وعيناها شبه مغمضتين. فقد سمع تنهّدها الأجش من الغرفة المجاورة.

أضاءت لمحة من المرح قساوة ملامحه وهو يقترب حاملاً على ذراعه ثوب نوم.

لم يصعب عليه تفسير تصرّفات ضيفته الآنسة ك. م. أندرسون. وقد تأكد من أن في الفندق نزيلة تحمل هذا الاسم. فلا بد أنها تتساءل عما إذا استيقظت بجوار رجل غريب، وبدا من ردّات فعلها أنها لم تعتد ذلك.

وجد خافيار نفسه يتساءل عما سيكون عليه ردّ فعلها لو وجدت نفسها تعانقه بدلاً من هذه الوسادة الموضوعة بجانبها. تخيّلها للحظة تستدير وتمدّ يديها ثم تبتسم له بشفتيها المكتنزتين الجذّابتين، إلاّ أنه ما لبثُ أن عاد إلى الواقع. فعلى الأرجح، ونظراً إلى اندفاعها وتهوّرها، ستلتقط غرضاً قاسياً وترميه به ليفقد وعيه.

عبست «كايت» وانقلبت على ظهرها. بدت المراوح التي تدور بصمت فوق رأسها جميلة وغالية الثمن وتتماشى والمفروشات في الغرفة. إن منزل والديها القريب من الشاطىء مفروش بمفروشات مشابهة إلاّ أنه لم يكن فسيحاً هكذا.

طبعاً إنها في إجازة، إنها في السرير في غرفة الفندق التي تتشاركها مع سوزي. لكن الارتياح تلاشى بسرعة عن وجهها، فما تذكرته الآن صحيح جزئياً. ما عدا أن هذه الغرفة المفروشة بذوق ليست غرفة نومها المتواضعة التي تطل على أحد أحواض السباحة.

تذمّرت بصوت مرتفع: «رأسي يؤلمني».

ـ لا يفاجئني هذا بتاتاً.

صرخت «كايت» باشمئزاز: «أيها!».

جلست مستقيمة كالسهم وهي تنفث غضباً وكراهية. ولم يعد نسيانها للساعات القليلة الماضية أمراً غامضاً بل ردّ فعل، فهي تحاول أن تحمي نفسها من أسوأ يوم في حياتها.

ـ كيف وصلتُ إلى هنا؟ لم يكن هذا حتماً بملء إرادتي. وأين يقع هذا المكان؟ الاختطاف جنحة خطرة في إنكلترا والأمور ليست مختلفة في إسبانيا.

www.rewity.com
gege86

رفع حاجبه وأجاب بتهذيب: «هذا ما أظنه».

بدا واضحاً أنّ تحذيرها هذا مرّ من دون أن يخلّف أثراً على ثقته بنفسه، فكل ما نتج عنه هو ومضة مرح مغيظة ومزعجة. لكن لم عساه يتأثر...؟ فهي تتحدّث إلى مجرم قاسٍ يائس، قام على الأرجح بأمور أسوأ من الاختطاف. لعله ما زال يعتقد أنها مجرّد شخص تافه لن يفتقده أحد؟

وقالت بعنف: «ثمة أشخاص سيلحظون غيابي... العديد من الأشخاص في الواقع».

وفي خضمّ ألمها، أحست بالسرير يهتزّ عندما تقدم خافيار وجلس على حافته. وداعبت أنفها رائحة عطره الذكي المفعم بالرجولية المنبعثة من جسمه الدافىء، ولو اقترب منها قليلاً لشعرت بدفء جسمه. اضطربت «كايت»، فالأمور أصبحت أكثر حميمية. أطلقت صرخة اعتراض آلمت رأسها وحاولت النزول عن السرير إلاّ أنّ يداً قوية أمسكت بمرفقها ومنعتها من ذلك.

ـ لن أؤذيكِ. عليك أن تستلقي فقد تلقيت ضربة قوية.

غضبت «كايت» من نفسها لأنها صدّقته رغم أن الدلائل كلّها تشير إلى العكس.

أجابت وهي تصرّ على أسنانها: «أنت أعلم فأنت الذي ضربتني على الأرجح».

ـ في الواقع لقد ركضت وارتطمت بالخزانة الخشبية... طبعاً يمكن إصلاح الخزانة.

تطابقت هذه المعلومات مع ما تذكره «كايت» من الحادث، وقالت بقسوة: «تجعل الأمر يبدو وكأنني تعمّدت الاصطدام بالخزانة. في الواقع، كانت عيناي مغمضتين كحالهما الآن تماماً».

ارتجف جفناها عندما أحست بإصبع يرفع خصلة شعر عن جبينها. وصوّر لها عقلها مشهداً زاد من حدّته رائحة العطر الرجولي الذي لا تزال تشمّه.

قالت في سرّها إنها لا تبقي عينيها مغمضتين لأنها تخشى رؤية جاذبيته التي لا تقاوم بل لأن الضوء يؤلمهما.

تمتم وقد ظهرت في صوته العميق نبرة استخفاف: «رأيت نظاراتك. أظن أنك لن تري بوضوح من دونها حتى لو فتحت عينيكِ. أيؤذي الضوء عينيكِ؟».

ـ قليلاً.

كانت «كايت» مستعدّة لتجاهل هذه الملاحظة عن قِصَر نظرها فلديه نظاراتها وهي تحتاج إليها. وبالرغم من أنها غير معتادة على ذلك، إلا أنه آن الأوان لبعض الالتماس. فتحت عينيها وقالت: «هل وجدت نظاراتي؟ أعطني إيّاها، أرجوك، فالبقاء من دونها أشبه بالبقاء عارية».

يصعب حقاً على المرء أن يفسّر كم هو محرج أن يكون قصير النظر لأي شخص لا يعاني من هذه المشكلة، فكيف بالأحرى لشخص يتمتّع بجسم كامل خالٍ من أي عيب.

كان من الصعب عليها ألاّ تلاحظ كماله وهي قريبة منه إلى هذا الحدّ، ولم تحتج نظاراتها لتميّز روعة ملامحه السمراء القاسية. وكان تحديقها إلى تلك الملامح الرائعة يزيد من حدّة الدوار الذي تشعر به.

ـ أخشى أنني دُست عليها في الظلمة.

ناحت كطفلة صغيرة: «لقد تعمّدت القيام بذلك».

ـ يقال إن حواسكِ الأخرى تعوّض النقص...

تأملته «كايت» بذهول تام وهو يزيح بأصابعه الطويلة خصلة من شعرها بعيداً عن عينيها. بدا وكأن تلك الأصابع مشحونة بطاقة كهربائية، وأحسّت بتيار يمسّها وبقشعريرة تتملّكها.

أتشعر بذلك الانجذاب الغريب الذي يشعر به الضحايا نحو مختطفيهم؟ تساءلت مذهولة وهي تشعر بالحرارة التي تكتسح جسمها. تباً يا كايت! ماذا يجري؟ أنتِ تتوهمين أنك تشعرين بانجذاب نحوه، أنتِ وحدكِ، الأمر بهذه البساطة.

gege86

وتابع ايحاءاته فأضاف: «... عندما تتعطّل إحدى الحواس. لاحظت شخصياً أني حين أغمض عيني تقوى حاسة اللمس عندي».

راحت تتخيل مواقف مختلفة يضطر فيها إلى إغماض عينيه.

ثمّ قالت لنفسها بصراحة: حسناً هذا الرجل رائع الجمال، جذاب جداً وفي إصبعه رجولة أكثر مما في أجسام الرجال الآخرين كلها.

ـ لا بد أن هذا يخفف من الشعور بالعُري الذي تحدّثت عنه سابقاً.

نظرت «كايت» إلى وجهه ثمّ إلى ثوب النوم الذي قدّمه لها، وربطت بين كلماته والثوب. ثمّ عضّت على شفتيها. أتراها لا، لا يعقل!

وبالكاد تجرّأت على النظر إلى جسمها. كان يمكن للأمور أن تكون أسوأ لكن لا! وجدت نفسها ترتدي قميصاً واسعاً طويلاً. صرخت وصوتها يرتجف غضباً: «أخلعت عنّي ملابسي؟ هل هذا كلّ ما فعلته؟».

أجاب ببرودة أعصاب من دون أن يعتذر: «هذا الحل الأنسب في ظل الظروف، إذ كنت تعانين من الحمى».

أحست بحرارتها ترتفع وانتابها فزع شديد، فانزلقت تحت الغطاء تاركة وجهها وشعرها الأشقر ظاهرين فقط.

رفع حاجبه وقال: «ما من حاجة حقاً لتمثّلي دور المرأة الخجول، فالنساء يرتدين ثياباً أقل من هذه على الشاطىء».

وظهرت في عينيه نظرة شيطانية فيما تابع بخشونة: «أتخشين أن تثيري رغبتي! لا تقلقي... فأنا أسيطر تماماً على نفسي».

بكلمات أخرى، أراد أن يوضح لها أنه ليس يائساً إلى حدّ أن ينظر إليها.

اخترقت كلماته قلبها ومزّقته شرّ تمزيق. وبالرغم من أنها لم تحسد سوزي يوماً على مظهرها الخلاّب، إلا أنها تمنّت في هذه اللحظة لو أنها تملك قوامها الرشيق لتجعل هذا الرجل يتراجع عن كلماته البغيضة هذه.

قالت بسخرية وهي ترشح عدائية: «حقاً، أنت تُسكتني تماماً. أمّا فيما يختص بالنساء على الشاطىء، فلم يختطفهن مجنون خطر».

ـ أتراودك دوماً هواجس مثيرة؟

احمرّت وجنتا «كايت» أمّا هو فرمقها بنظرة واحدة أفهمتها أنه لن يقترب منها حتى إذا كانت المرأة الوحيدة الحية على سطح الكرة الأرضية.

أجابته: «لا يراودني أيّ هاجس يتعلق بك».

أدركت «كايت» أنها ستحلم بخافيار في المستقبل، فهذا أمر محتمّ لأنه من الرجال الذين يجعلون النساء يحلمن بهم دوماً. إلاّ أنها أملت ألا تراودها تلك الأحلام الآن بل بعد أن تصبح آمنة في كنف عائلتها وشعرت بضرورة الابتعاد عن هذا الرجل.

لاحظ خافيار خوفها: «لا يجدر بكِ أن تصرخي أو تضطربي».

ـ لا يمكنني أن أحيا من دون نصائحك المفيدة.

هزّ كتفيه وقال: «خلعنا عنك ملابسك لأنك كنت ترتدين ثياباً غير ملائمة لحرارة المكان».

ثم تابع باستخفاف: «رغم أنها مناسبة تماماً لارتكاب أعمال اللصوصية».

قالت وهي تصر على أسنانها: «أتدعوني سارقة؟».

ـ أنت أدرى...

ردّت بعفوية: «يعرف السارق مثيله...».

وتابع بسرعة: «ولا بد من سارق لإلقاء القبض على سارق آخر».

ـ آه، يا إلهي! لغتك الإنكليزية المحكية جيدة جداً.

لا أصدق أنني قلت هذا... ! لقد ضربني أحدهم حتى فقدت وعيي، وها أنا الآن مخطوفة، مستلقية في سرير غريب وبجانبي رجل خطر وكلّ ما أفعله هو الإعجاب بإتقانه لقواعد اللغة!

أسبل جفنيه محاولاً إخفاء ردّ فعله الذي ظهر جلياً في عينيه العميقتين: «الإنكليز المغرورون!».

ـ عفواً؟

فتح عينيه فظهر لونهما الأزرق النقي: «تعيشون على أمجاد

www.rewity.com
gege86

الأمبراطورية، وترفضون تعلّم لغات جديدة وتُسرّون بانتقاد الأجانب والتعليق على لكنتهم».

خافت «كايت» أن يفسّر ملاحظتها بشكل خاطىء ولم تستطع منع نفسها من أن تلاحظ أن طريقة كلامه يمكن أن توصف بنعوت عديدة بما في ذلك أنها فاتنة ومغرية للغاية، لكن كلمة مضحكة لم تخطر في بالها أبداً.

قالت والخوف يعتريها من أن يشملها مع أشخاص جَهَلة لا تمت إليهم بصلة: «لم أعنِ هذا! على أي حال، هذا تعميم تافه».

ارتعشت «كايت» حين امتدّت يد باردة إلى جبينها المتعرّق فيما هي عاجزة عن تفسير سبب تعرّقها. وعندما ارتفعت اليد أطلقت «كايت» تنهيدة عميقة.

قال فجأة: «أنا أشك في ذلك».

والتقت أعينهما وتبادلا نظرة غريبة جعلت أنفاس «كايت» تتسارع وتتقطّع. بعدئذ أضاف ببساطة: «في الواقع درست في إنكلترا».

قطبت «كايت» وسألت: «مدرسة داخلية؟».

هذا يعني أنه من بيئة ميسورة، كما تدلّ تصرفاته الأرستقراطية على ذلك. أتراه سلك طريق الجريمة بملء إرادته أمْ أنّ ثمة ظروف قاهرة أجبرته على ذلك؟ بدت لها خسارة فظيعة أن يضيّع شخص شعرت أنه يتمتع بإمكانات كثيرة، مواهبه.

ـ هل ألاحظ في صوتك استنكاراً للأمر؟

نبرة المرح في صوته جعلت «كايت» تتخذ موقفاً عدائياً: «حسناً، أنا ما كنت لأرسل أولادي بعيداً...».

لاحظت أنّ عينيه لمعتا باهتمام فعضّت على شفتها. أتظنين أنه يهتم حقاً بما تفعلينه مع أولادك يا «كايت»؟... الشخص الذكي ما كان ليقحم نفسه في جدال حول التعليم مع خاطفه.

ـ لم يؤذني ذلك.

لم تستطع «كايت» منع نفسها من إطلاق ابتسامة ساخرة.

ـ في الواقع...

ـ لقد أوصلك إلى حيث أنت الآن... تنتظرك تهمة الاختطاف على الأقل.

ـ أيعني كلامك هذا أنني إذا تركتك ترحلين فستهرعين فوراً إلى الشرطة؟

ارتبكت «كايت» حين أدركت أن ما قالته لتوّها أقحمها في مشكلة أكبر. قالت: «أنا لست في وضع يسمح لي باللجوء إلى الشرطة من دون أن أتورط».

انتظرت جوابه على أحرّ من الجمر.

ـ لأنك مجرمة متمرّسة قاسية القلب...

عجزت «كايت» عن تفسير نبرة صوته فقالت: «لست متمرّسة تماماً... لقد درست في إنكلترا، أيعني هذا أنك لست إسبانياً؟».

ـ أيحقّ لي أن أعتقد أنكِ تحاولين تغيير الموضوع؟

ـ أنا فضولية، ليس إلا...

ـ بشأن أجدادي؟

ـ بشأن عينيك...

تمتمت وقد احمرّ وجهها حين زاد البريق في عينيه الخطرتين، ثمّ قالت باستهتار: «لاحظت أنهما زرقاوان».

وتابعت تدافع عن نفسها: «هذا أمر غريب بالنسبة إلى شخص من لون بشرتك».

ـ نعم، هذا صحيح، فإحدى جدتيّ اسكوتلندية.

قالت من دون تفكير: «لا يفوت الأوان أبداً كما تعلم....».

جلس بارتياح أكبر على السرير ولفّ يديه على صدره، بعد أن استحوذت «كايت» على انتباهه الكامل رغم أنها لم تشأ ذلك.

ـ علام لم يفت الأوان؟

شعرت «كايت» بالحرج ممّا قالته فراحت تمرّغ أنفها في الوسادة وتغوص

www.dvd4arab.com
gege86

في السرير محاولة الابتعاد عنه قدر الإمكان. وتساءلت يائسة: لِمَ لا أستطيع أن أرحل؟ لِمَ عليّ دوماً أن أحاول إعادة تأهيل الحالات المُستعصية؟

لطالما قال لها أصدقاؤها: «مشكلتك أنكِ لا تعرفين القضية الخاسرة عندما تربحها».

تمتمت بغرابة: «للقيام بشيء آخر، شيء قانوني».

ارتسم على وجهه تعبير استغراب مصحوب بشيء آخر عجزت عن تفسيره: «أتحاولين إعادة تأهيلي؟».

ردت بقوة: «أنا لا أهتمّ أبداً لو تعفّنت في السجن! والآن، أعد إليّ ثيابي وسأمضي في حال سبيلي».

ـ أتساءل فقط بداعي الفضول، ماذا ستفعلين إذا قلت لك إنك لاتستطعين الذهاب؟

تجمّد الدم في عروقها. أي شخص يجد نوعاً من الإثارة في أن يختطفه شخص مثل خافيار هو حتماً أبله! عضّت شفتيها وتقلص حلقها فيما التحمت عيناها بعينيه الزرقاوين، ومرّت بضع دقائق قبل أن يعود حلقها إلى وضعه الطبيعي.

ـ إذا أخبرتك، سيختفي عنصر المفاجأة.

فكرّت في سرّها أنّ قول الحقيقة سيزيد الأمور سوءً، ثمّ تابعت: «وأعتقد أن هذا هو الأمر الوحيد الذي أتحكمّ به».

ويا للغرابة! أرجع رأسه الأسمر إلى الوراء وضحك.

كانت ضحكته جميلة وجذابة للغاية.

قال بلطف: «تتحكمين بأمور أخرى كثيرة يا ك. م. أندرسون».

سألت بشك: «لِمَ تلجأ إلى هذه الفتنة معي؟».

وخطر لها: لو كنت فتاة أضعف وأكثر سذاجة لنجحت خطتك لأن ابتسامة كهذه ينبغي أن تترافق مع تحذير للحفاظ على صحة النساء.

ـ أتعتقدين أن لكل الرجال برناجاً سرياً؟

ردّت بدون أن تفكر: «لا، أنت فقط».

بدا أنّ ردّها لم يزعجه: «لم أقابل في حياتي امرأة صريحة مثلك. وصراحتك هذه تجرّد المرء من سلاحه».

لم يبدِ مجرداً من سلاحه بل غارقاً في التفكير بشكل يثير القلق وسألته: «أستحضر لي ثيابي؟».

ـ إذا سمح لك الطبيب بذلك.

ـ طبيب؟ أي طبيب؟

عندئذ تناهت إليهما أصوات خارج غرفة النوم.

ـ هذا الطبيب.

ودخل إلى الغرفة رجل لكنه لم يكن الطبيب بل الرجل الضخم الذي سبق أن التقت به. بدا أقل إجراماً في وضح النهار على عكس شريكه. ابتسم لكايت ووجدت نفسها تبادله الابتسام وقد أربكها تهذيبه. بدا شخصاً ودوداً للغاية لا يوحي بأي خطر، وصورته هذه تختلف تماماً عن الصورة التي تحتفظ بها «كايت» في رأسها. استدارت نحو الرجل الجالس على حافة سريرها، وقالت باستخفاف: «أتتوقع مني أن أصدّق انك استدعيت طبيباً؟».

جالت عيناه الزرقاوان على وجهها المحمّر خجلاً: «يمكنك أن تصدّقي ما شئت».

ثمّ استدار باستعلاء وأضاف: «على أي حال، لقد استدعيت طبيباً».

ردّت: «أعتقد أنّ وجود جثة هامدة أمر غير مستحب حتى بالنسبة إلى شخص مثلك».

رفع أحد حاجبيه ولم يجب بل وقف ليحيّ صديقه. لم يخطر في بال خافيار أن يسأل سيرج إذا وجد طبيباً، فسيرج لم يكن من الرجال الذين لا ينجزون المهام التي توكل إليهم.

ـ تصرفت بسرعة يا سيرج.

ـ لم أضطرّ إلى البحث عن طبيب. لحسن الحظ أنهم أعلموني أن الطبيب «لايتمر» يقضي الليلة في الفندق فأيقظته.

www.rewity.com
gege86

ـ لقد أيقظني من النوم، لذا آمل أن تعذروني.

ازداد ارتباك «كايت» عندما رأت رجلاً طويلاً رمادي الشعر يحمل حقيبة سوداء يدخل وراء الرجل الأصغر سناً إلى الغرفة.

مدّ الرجل يده إلى خافيار وسلّم عليه بحرارة: «خافيار!»

ـ كونراد.

تبدّد خوف «كايت» من أن يكون الطبيب قد حضر تحت التهديد أو بالإكراه، فهذا الرجل المحترم اللائق لا يبدو غريباً.

قال الطبيب بحرارة: «كم تسرني رؤيتك!».

زاد الإحترام المتبادل الظاهر بين الرجلين من ذهول «كايت»، وتابع الطبيب: «كيف حال جدّك؟ سمعت أنه ينوي التقاعد...».

اكتفى خافيار بالابتسام من دون أن يُعلق على الموضوع.

وتابع الطبيب حديثه من دون أن ينتبه إلى موجة الاضطراب التي لاحظت «كايت» أنها اعترت خافيار: «يصعب حقاً على رجل مثله أن يتقاعد. أيتّبع النصائح والإرشادات التي قلتها له في زيارته الأخيرة لي؟»

ـ أنقصد أن يمتنع عن تدخين السيجار ويمارس التمارين الرياضية ويتبع حمية غذائية؟ أتوقعت منه أن يفعل هذا؟

تأوه الطبيب المحترم، الذي يقضي فترة تقاعده على الجزيرة، بانزعاج وقال: «تقول زوجتي إنني دائم التفاؤل».

ثمّ وقع نظره على «كايت» التي استلقت مقطبة الجبين تستمع إلى الحديث. أتراها وقعت بين أيدي عائلة مافيا سيئة السمعة...؟ ولم يبدو خافيار منزعجاً من الحديث عن جدّه؟ سأل الطبيب: «أهذه مريضتنا؟».

ـ نعم، إنها الآنسة أندرسون.

كان خافيار أطول من الطبيب وبدت كل حركة يقوم بها خفيفة رشيقة، حيث اتجه إلى السرير مجدّداً ووضع يده على كتفها. نمّت لغة جسده عن نوع من الحميمية، رغبت فوراً في إنكار وجودها. قال: «تلقت «كايت» ضربة مؤلمة على رأسها... أليس كذلك يا عزيزتي؟».

لم ترمش عندما ناداها باسمها لكن كاد يُغمى عليها حين ناداها عزيزتي.

ـ هل أُغمي عليها؟

أجاب بثقة: «فقدت الوعي لبضع دقائق».

هزّ كتفيه بلباقة فيما حدّقت كايت إليه وارتعشت، فهي لم تر قط رجلاً يعبّر بجسمه بهذه الطريقة وتابع كلامه قائلاً: «كونراد، لا أعرف إن كان ما سأقوله مهماً لكن يبدو أنها محمومة».

تدخّلت كايت بسرعة وتوقّفت عن التحديق إلى كتفيه العريضتين وقالت: «لا، لست محمومة».

آن الأوان لتتوقّف عن الإستلقاء خانعة صامتة فيما يتحدّثان عنها كما لو أنها غير موجودة. ثم تابعت بغضب: «وإن رغب أحدهم بالاطمئنان على حالي، فيمكنه أن يسألني».

تبادل الرجلان نظرات تفاهم ما جعل كايت ترغب في الصراخ.

وردّ الطبيب بمرح: «أنتِ محقة تماماً!».

ثم أخرج من جيب قميصه نظارته ليمعن النظر إليها.

أكدّت لها طريقة فحصه أنه طبيب حقيقي، بعد أن شكّت في حقيقة هويته. على أي حال، خافيار هو من قدّمه إليها وكلام خافيار لا يوحي بالثقة.

ـ هذا سخيف. أنا لا أحتاج إلى طبيب بل أحتاج...

وقاطعها أحدهم: «لا تتحمّسي يا كايت».

استقامت كايت في السرير ورفعت الغطاء ليلامس ذقنها. ففي ظلّ هذه الظروف تحتاج إلى معجزة لتبقى متعقّلة.

ابتسمت ابتسامة جافة وقالت: «أتظنّ أنّ هذا الأمر مثير، يحقّ لي أن أتحمّس! ولا تنظر إليّ هكذا!».

التقت أعينهما بتحدّ وصمّمت كايت ألاّ تشيح بنظرها أولاً، فالمسألة مسألة مبدأ. قالت بتهجمّ: «أجهل نوع النساء اللواتي اعتدت على التعامل معهن، ولكن...».

gege86

سعل الطبيب ونظر إلى الطرفين المتنازعين ثمّ اقترح: «أظن أن من الأفضل أن تتركنا وحدنا يا خافيار».

ابتعدت العينان الزرقاوان أخيراً عن عينيها. وقال خافيار: «إذا احتجت شيئاً فناديني! سنكون...».

وأشار خافيار برأسه إلى الباب.

لم ترتح كايت كثيراً لهذا الاتفاق. كان جبينها مقطباً لكنها حاولت رسم ابتسامة بريئة على شفتيها.

قال الطبيب قبل أن ينصرف خافيار: «عليك أن تدعني ألقي نظرة على هذا الجرح في يدك. يبدو أنه بحاجة إلى عناية».

حوّلت كايت نظرها عن عيني خافيار ووجّهته إلى يده التي رفعها إلى شفتيه. أحست بعدم ارتياح واحمر وجهها عندما تذكرّت اللحظة التي عضّته فيها بقوة. عضّت شفتها السفلى وظهر الشعور بالذنب واضحاً على وجهها عندما التقت أعينهما مرّة أخرى. قال وهو يهزّ كتفيه: «لقد تعاركت مع هرّة».

فقالت كايت: «لعلّك استفززتها...».

عندئذٍ، أطلق الطبيب تعليقاً عن عدد الحيوانات الحُرّة الطليقة وقال: «آمل أن تكون قد تلقيت مؤخراً إبرة كزاز».

فأومأ خافيار برأسه وانصرف.

* * *

٤ ـ جناح العرائس

شعرت كايت بالارتياح لتخلّصها المفاجيء من الضغط وعجزت عن تصديق حظّها.

عرّف الطبيب عن نفسه بطريقة رسمية: «كونراد لايتمر».

لم تهتم كايت بما قاله بل أزاحت الغطاء عنها ووضعت رجليها على الأرض. لكنها أحست بالغرفة تدور من حولها فأمسكت برأسها وتراجعت بضعف إلى الوراء.

تمتمت: «أظنني وقفت بسرعة».

ثم أضافت بضعف: «أنت لا تفهم، عليّ أن أخرج من هنا بسرعة!».

وراحت ترتجف مستاءة لأنه لا يقدّر مدى إلحاح المسألة. تنهدت كايت فهي تفضّل حتماً طلب المساعدة من شخص نزيه لا يعرف خافيار شخصياً، وهذا لا ينطبق على هذا الرجل، إلاّ أنها لا تملك خياراً آخر. سألته وهي تحاول يائسة أن تجد نقطة مشتركة بينهما: «هل أنت إنكليزي؟».

ـ نعم، فمنذ تقاعدتُ أمضي وزوجتي معظم أيام السنة على هذه الجزيرة. تقع الفيلا في بقعة رائعة الجمال قرب منطقة «بولنزا». أطلبي من خافيار أن يحضرك لزيارتنا عندما يتسنّى له الوقت.

حدّقت كايت إليه بشكّ. ستذهب برفقته إن وجد وقت فراغ من السجن حيث سيقضي عقوبته بتهمة اللصوصية والإبتزاز.

ما هي العلاقة التي يظن الطبيب أنها تربطها بخافيار؟ فهي لم تتخيّل نفسها يوماً عضواً في عصابة، وقد أزعجها أن تفكّر في ذلك الآن.

www.lewity.com
gege86

ـ كفانا الآن حديثاً ودعني ألقي نظرة على جرحك.

وضع يده على رأسها بلطف ثمّ سألها: «أرجو المعذرة، لكن كيف صدمتِ رأسكِ؟».

ـ يبدو أنني اصطدمت بخزانة.

قال: «أنتِ إمرأة متهوّرة».

ـ لا، لم يكن الذنب ذنبي.

ـ لا تقلقي، الحوادث تحدث أحياناً. لحسن الحظ أنّ خافيار كان موجوداً، فهو يجيد التصرف أثناء الأزمات. إنه يتقن ذلك تماماً...

صُدمت كايت من وصف الطبيب لخاطفها فردّت ساخرة: «طبعاً، إنه كفوء للغاية».

ـ آل مونتيرو عائلة ساحرة للغاية وخافيار هو الأفضل بينهم برأيي.

أرادت كايت أن تسأله عن هذه العائلة. خافيار مونتيرو، أين تراها سمعت هذا الاسم من قبل؟

بدا الاسم مألوفاً بالنسبة إليها لكن الألم في رأسها منعها من التركيز.

سألها وهو يوجّه مصباحاً صغيراً إلى عينيها: «أتعرفينه منذ فترة طويلة؟».

ردّت بتحفّظ: «لا، ليس منذ فترة طويلة، قد يبدو هذا غريباً قليلاً يا دكتور...».

ـ أترين الأشياء مزدوجة أو تشعرين بالغثيان؟

ـ لا، ولكن دكتور...؟

ـ نعم يا عزيزتي؟

وراح يتفحصّ ردّات فعلها، فسألته: «أين أنا؟».

أعاد الطبيب سماعته إلى حقيبته، ولم يبدِ أي ردّ فعل على سؤالها.

قال بحذر: «فقدان الإحساس بالاتجاهات ليس أمراً مستغرباً بعد التعرّض لضربة قوية كما حصل لك. ما الذي تذكرينه عن الحادث؟».

أجابت بحماسة: «الكثير».

ـ وعمّا حصل قبل الحادث؟

ردّت بغضب: «ذاكرتي على ما يرام. أريد فقط أن أعلم أين أنا».

ـ أنتِ في المكان نفسه الذي كنت فيه قبل الحادث. أنتِ في جناح العرائس في...

صرخت كايت: «أين؟».

ردّ بصبر: «في جناح العرائس. أنا واثق من أنك ستتذكرين كلّ شيء إذا منحتِ نفسك بعض الوقت».

ـ لن أتذكر جناح العرائس لأنني لا أنزل فيه كما أنني لا أمضي شهر عسل بل أعيش كابوساً مزعجاً.

بدا الطبيب مستمتعاً بوقته وقال: «شهر عسل! سيتصدّر هذا الخبر عناوين الصحف، أليس كذلك؟».

ـ أسيفعل...؟

دفعته إجابتها إلى الضحك أكثر ثمّ اختفى المرح عن وجهه فجأة وقال: «لا تظني أبداً أنني أتطفّل. فأنا أعلم تماماً كم يحبّ خافيار التكتّم في حياته الخاصة وأرى أنك مثله. لسمعي، علاقتك به ليست من شأني؛ أنت ضيفته ومريضتي وأعدك بأنّ أحداً لن يعرف بإقامتكِ هنا».

ضحكت كايت لسخرية الموقف، وعجزت عن فهم سبب طمأنته لها. لكنها في هذه اللحظة بالذات عاجزة عن فهم شيء مما يدور حولها.

ـ أنا لست على علاقة بخافيار مونتيرو. في الواقع، أنا لا...

وسمعت كايت صوتاً مألوفاً جعلها تتوقف عن الكلام: «أهي هنا؟ كايتي!».

تمتمت مذهولة: «أمي؟».

آه يا إلهي! لا بدّ أن الضربة التي تلقيتها على رأسي أسوأ مما ظننت، إذ أنني أسمع صوت أمي. آه! لا بدّ أني أصبتُ بالجنون.

لم تشأ كايت أن تخبر الطبيب أنها تسمع أصواتاً، لذا تطرّقت إلى الموضوع بحذر وسألته: «أتسمع صوتاً؟».

www.kawitcafe
gege86

واتسعت عيناها عندما فُتح الباب على مصراعيه وظهرت أمامها «إليزابيت أندرسون»، فتساءلت إن كانت تهلوس؟ يبدو كل شيء حقيقياً للغاية!

ـ طفلتي الغالية!

استسلمت كايت لعناق والدتها ولم تجرؤ على معارضتها إلاّ أنها عرفت أن خوفها هذا ليس حقيقياً. لا أحد ينكر أن «إليزابيت أندرسون» مولعة تماماً بابنتيها، إلاّ أن سوزي تظهر عاطفتها أكثر من كايت، لذا لطالما كانت المفضّلة عند أمّها.

قالت بعد أن خفّ الضغط عن ضلوعها وعاد تنفّسها طبيعياً: «كيف عرفتِ أنني هنا يا أمي؟».

ـ حسناً، حضر خافيار لاصطحابنا، يا له من رجل رائع!

ثمّ تابعت وهي تلوّح باصبعها: «أيتها الفتاة الشقية، لما لم تخبرينا أنكِ...».

ورمقتها بنظرة جعلت كايت تتذكّر الشبه الكبير بين سوزي وأمّها وتابعت تقول وقد أثارت أعصاب كايت: «صديقة خافيار مونتيرو. لم أكن حتّى أعلم أنك تعرفينه! أظن أنك تركت العشاء باكراً لتقابليه. وأجهل حتى لما ظننتِ أن عليك اللجوء إلى الخداع... أظننتِ حقاً أننا سنعارض...».

وأطلقت ضحكة عميقة وتابعت: «وكأنكِ اهتممتِ يوماً لرأينا!».

قالت كايت بصوت مخنوق: «هل أنتِ مسرورة لأنني أعرفه؟».

ردّت والاستغراب بادٍ في صوتها: «كاترين ماري أندرسون، أحياناً أحتار في أمركِ يا ابنتي. عائلة مونتيرو هي إحدى أثرى العائلات في أوروبا!».

تنفّست كايت بصعوبة فيما بدأت الصورة تتضّح في رأسها: «آه، يا إلهي!!».

عليها أن تصحح سريعاً صورة خافيار الذي خالته عضو عصابة والذي

تبيّن الآن أنه ابن أسرة غنية وصاحبة نفوذ تعود جذورها إلى قرون خلت.

قالت الأم بطريقة توحي أنها تتألم: «لطالما كنت محتالة، يا طفلتي الكتومة. كنتِ تطلعين والدك دائماً على بعض الأمور لكنّه أقسم لي أنه لا يعلم شيئاً... أهذا صحيح؟ ألم تخبريه شيئاً؟».

ـ أخبره بماذا؟

تجاهلت الأم سؤال ابنتها وجال نظرها في أنحاء الغرفة، ثمّ قالت بصوت ملؤه الإعجاب: «جناح العرائس».

جناح العرائس، آه يا إلهي! وبما أنها تعرف أمّها جيداً، استطاعت كايت أن تعرف ما يجول في فكرها. فبالنسبة إلى أمّها، الزواج هو المهنة الوحيدة التي تحتاجها المرأة، وإذا عجزت الفتاة عن اصطياد زوج قبل أن تبلغ الثلاثين من عمرها فهي فاشلة. لحسن حظها، تمكّنت كايت من التخلص من هذه المشكلة إذ تركّزت جهود أمّها على ابنتها الصغيرة سوزي.

توسّلت كايت: «أمي، أرجوك لا تفسّري الأمور كما ترينها! تعرّضت لحادث وقد أحضروني إلى هنا».

ادّعت إليزابيت أنها لم تسمع وتابعت تفحصّ الغرفة ثمّ أصدرت حكمها النهائي: «جميل جداً، ينمّ عن ذوق رفيع. وانظري إلى هذا «الجاكوزي» المُطلّ على البحر، إنه شبيه بالذي حصلنا عليه أنا ووالدك عندما ذهبنا في عطلة إلى «جامايكا» العام الفائت. آه، ما أروع الاستلقاء في «الجاكوزي» والإستماع إلى صوت أمواج البحر!».

في الوقت الحالي، لم تستطع كايت أن تفكّر في الماء البارد يداعب جسمها الساخن في «الجاكوزي» إذ لديها أمور أخرى تشغل بالها. كانت تتوق للاستلقاء على شاطىء البحر مرتاحة حالة من دون أن تسمع أي صوت، وخاصة صوت أمّها، بل تكتفي بالإصغاء إلى صوت البحر وأمواجه.

كان هذا الحلم مريحاً للغاية إلى أن أضافت مخيلتها الخصبة عنصراً جديداً إلى الصورة. فظهرت أمام عينيها صورة خافيار ببشرته السمراء وعضلاته المفتولة يجلس قربها على شاطىء البحر.

www.rewity.com
gege86

نظرت إليزابيت إلى الطبيب مبتسمة وسألته تتحرّى: «كيف حالها يا دكتور؟ تبدو لي غريبة قليلاً».

غريبة! إذاً، لم يكن هذا كابوساً غريباً ستستيقظ منه في أي لحظة. والرجل الذي ظنّت أنه مجرم ورئيس عصابة تبيّن أنه من عائلة تُعتبر زيجات أفرادها أخباراً هامة تتصدّر عناوين الصُّحف والمجلات من «نيويورك» إلى «إسطنبول».

لقد تغيّرت الآن أسباب وجوده في غرفة المبتزّ، فعلى عكسها تماماً يبدو أنّ وجوده هناك شرعيٌ. وراح رأسها يدور بسبب أفكارها المتلاطمة والتي لم تعتقد يوماً أنها قد تخطر في بالها.

ـ الجوّ حار جداً هنا...

لو انتابها يوماً شعور مماثل بالحزي والضياع لتذكرّت ذلك حتماً.

ـ في الواقع، كنت أتساءل لما التكييف قويّ جداً هنا؟

نظرت كايت إلى الطبيب وقلقت عندما أومأ برأسه موافقاً على ما قالته أمّها.

وشرع يشرح: «تلقّت الآنسة أندرسون ضربة قوية على رأسها، أظنّ أنّ ما يلزمها الآن هو الهدوء والراحة...».

رمقت كايت الطبيب بنظرة امتنان؛ فبالرغم من أنها تحبّ والدتها كثيراً، إلاّ أن الحديث معها في أفضل الأوقات تجربة مضنية، فكم بالأحرى الآن وهي تعاني من ألم مبرّح في رأسها.

ـ أودّ إجراء صورة أشعة للاطمئنان فحسب. سيتدبّر خافيار الأمر من دون شكّ، أنا هيّ الأول الآن فهو حرارتها إذ أنها ترتفع.

سألت كايت: «هل أنا محمومة؟».

ـ أجل، حنجرتك حمراء وهذا دليل التهاب.

بما أنها كانت منهمكة بإحباط خطة المبتزّ والهرب من الخاطفين، أهملت كايت شعورها بالإنزعاج الجسدي. أمّا الآن، وبعد أن ذكر الطبيب ذلك، وضعت يدها على عنقها ولمست المكان الذي يتكلّم عنه.

وتابع: «على الأرجح، التقطتِ فيروساً، قد يكون من النوع الذي يزول في غضون أربع وعشرين ساعة...».

بادلته كايت الابتسام وقد سرّها موقفه المتفائل.

ـ هل التقيتِ مؤخراً شخصاً مصاباً بالزكام أو ما شابه؟

قفزت «إليزابيت أندرسون» بسرعة عن السرير والرعب بادٍ على وجهها.

قالت كايت: «لا، لا أعتقد...».

ثمّ تذكرت الطفل في الطائرة فقالت: «كان في الطائرة طفل، حملته طيلة الرحلة وبدا منزعجاً قليلاً... أنت تعرف، كان مصاباً بالزكام».

هزّ الطبيب رأسه: «قد يكون هذا تفسير ما يصيبكِ. الطائرات مكان ممتاز لنموّ الميكروبات، لكن من جهة أخرى قد لا يكون للطفل علاقة بما يصيبكِ».

تذمّرت الأمّ وهي تتفحّص رقبتها: «حقاً كايت، أنتِ دوماً تتصرّفين على هذا النحو. لا تفكرّين أبداً في تأثير أفعالك على الآخرين. هذه المرّة الأولى التي يسافر فيها والدك منذ أشهر عديدة... ما سيكون شعورك إذا أصيب هو أيضاً بالمرض نتيجة طيشك وتهوّرك؟».

تقبلت كايت توبيخ أمّها بصمت: «آسفة...».

ـ سأتقدّم بشكوى إلى شركة الطيران أيضاً. يدفع المرء ثمن تذكرة للسفر في الدرجة الأولى...

فاعترفت كايت: «في الواقع، سافرت في الدرجة السياحية».

لم تتفاجأ كايت عندما صعق الخبر أمّها. كانت إليزابيت امرأة متكبّرة تبذل مجهوداً كبيراً لتخفي أنها من عائلة عادية من الطبقة العاملة وليست من عائلة ارستقراطية: «الدرجة السياحية!».

أجابت كايت مدافعة: «ظننت أن أبي لن يمانع إذا استبدلت تذكرتي بتذكرة الدرجة السياحية ووضعت المال المتبقيّ في حسابي كي أتمكّن مستقبلاً من شراء شقة خاصة بي».

www.rewity.com
gege86

سئمت كايت العيش مع الآخرين فقرّرت أن تشتري شقة لها، وأخذت تدخّر المال منذ العام الفائت. لم تكن تدري كيف يتمكّن الأشخاص ذوو الدخل المحدود من تدبّر أمورهم وشراء منازل في لندن.

ـ هل أنتِ محتشمة؟ أأستطيع الدخول؟

رحبّت كايت بالمقاطعة حين رأت وجه والدها المرح يُطلّ من الباب. لم يكن «شارلز أندرسون» بملامحه الملائكية يجسّد الصورة التي يتخيّلها الناس عن القضاة الرزينين. قالت بعد أن ألقت نظرة سريعة على أنّها: «أبي! أدخل أرجوك!».

وبعد أن اطمأن إلى أن حالة ابنته ليست سيئة، ابتسم «شارلز أندرسون»، وسألها بحنان وهو يقترب من سريرها وذراعاه مفتوحتان: «حسناً، ماذا كنت تفعلين، يا صغيرتي؟».

رمشت كايت وقد أحسّت بالإحراج لأنّ عينيها اغرورقتا بالدموع، فقد مرّت سنوات عديدة لم ينادها فيها والدها بصغيرتي. صرخت زوجته بهلع: «شارلز! لا تقترب منها! قد تصاب بالعدوى».

أكمل شارلز طريقه متجاهلاً كلام زوجته: «هذا هراء يا «ليزي»! منذ متى تعتبر الإصابة في الرأس مرضاً معدياً؟».

فهمت كايت نية أمّها الحسنة، فهي لا تنوي إفساد العطلة على جميع أفراد العائلة.

ـ في الواقع، يا أبي...

وتوقفت عن الكلام بعد أن انقطع حبل أفكارها مع دخول شخص صامت إلى الغرفة.

آه، يا إلهي! كم يبلغ طول قامة هذا الرجل ليجعل شارلز أندرسون يبدو قصيراً أمامه؟ استطاعت كايت أن تفهم الآن مظهره المتعالي لكنها ما زالت تجده بغيضاً.

خافيار مونتيرو وُلِد ليتحكّم بالأمور، ولهذا جمع في شخصه كلّ المعايير اللازمة. وخطر لكايت، المرأة التي قرّرت ألاّ تحكم أبداً على المظاهر، أن

ولادة خافيار في عائلة أرستقراطية منحته كلّ الحقوق والامتيازات.

شغلت كايت نفسها بتحليل شخصيته ممّا جنّبها البحث بعمق عن السبب الذي يجعلها تشعر وكأن تياراً كهربائياً مسّها. لم تكن كايت تتردد عادة في الضحك على أخطائها وانتقاد نفسها إذا تبيّن لها مدى خطئها، لكن لكل شيء حدود! عندما تذكّرت كم خافت حين كانت برفقته، راح دمها يغلي في عروقها. لا بدّ أنه سخر منها كثيراً تلك الليلة.

راحت تتذكّر الحديث الذي دار بينهما وتملّكها ندم وإحراج شديدان عندما تذكّرت النصيحة التي أسدتها له بأن يحاول تغيير نمط حياته ويخرج من محيطه الإجرامي.

حوّلت كايت إحراجها إلى غضب حين نظرت إلى خافيار باحتقار وعدم ثقة. لمَ لم يُطلعها على هويته الحقيقية، كأيّ شخص عادي، بدلاً من أن يتركها تتفوه بالحماقات؟

لم يتفاجأ خافيار حين رمقته كايت بنظرة ملؤها الانزعاج، وأبقى رأسه مرفوعاً كالعادة. لقد اكتشف أنّ ك. م. أندرسون امرأة متهوّرة وعنيدة. وهاتان الصفتان تميّزانها عن باقي النساء اللواتي يقلن دائماً ما يعتقدن أنه يريد سماعه. فبالرغم من أن كايت ليست رائعة الجمال إلاّ أنّ روعتها تتجلّى في عدم إدراكها لمدى جاذبيتها كما أنها ذكية جداً وقوية الإرادة.

وبالرغم من إعجابه بهاتين الصفتين إلاّ أن خافيار لم ينجذب يوماً إلى النساء اللواتي يتمتّعن بهما. أمّا الآن فالأمر مختلف. وخطر له أن للأمر علاقة بمظهر كايت الخارجي، فهي رياضية من دون عضلات بارزة، ومتناسقة الجسم لكنها ليست سمينة. وشرد فيما جالت عيناه على جسمها.

أقرّ بانزعاجها منه وهي تبادله الابتسامات الملتوية التي أوحت له أنها لا تجد وجوده أبداً.

أصرت بشكل طفولي على عدم إشاحة نظرها أولاً، ولم تدرِ كم من الوقت استمرّ صراع العيون، إلاّ أنها شعرت بارتياح كبير حين قاطعهما «كونراد لاينمر» ما منحها عذراً لإشاحة نظرها.

arabic-beauty.com
gege86

ـ سيد أندرسون، يبدو أن ابنتك تعاني زكاماً حاداً يترافق مع إرتجاج خفيف في المخ.

أوضحت إليزابيت: «التقطت عدوى الزكام من الطفل الذي حملته طيلة الرحلة في الطائرة».

قال والدها متجاهلاً ملاحظة زوجته: «كايتي، صاحبة المبادرة اللطيفة دائماً».

ثمّ عانق ابنته عناقاً حاراً، وأضاف: «أتشعرين أنكِ بحال سيئة..».

استقام بعد أن قبّل جبينها وربّت قليلاً على وجهها الشاحب.

لم تعد كايت تنظر إلى ذلك الرجل الأنيق الطويل القامة الوسيم، لذا عاد تنفسها إلى طبيعته.

ـ ليس كثيراً، يا أبي.

تقدّم خافيار الذي كان يتحدّث إلى الطبيب بصوت منخفض، ولم يضطرّ إلى الإتيان بأي حركة كي يصبح محطّ الأنظار. وجدت كايت نفسها تتأمل حضوره النافذ بالرغم من انزعاجها منه. راقبته وهو يحيّ أمّها بانحناءة بدت قديمة الطراز إلاّ أن كايت أدركت أن والدتها متأثرة بمركزه المالي والإجتماعي وسيصعب عليها أن تتراجع عن موافقتها عليه! راقبت كايت تصرفه وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة.

ـ سترغبين حتماً يا سيدة أندرسون في البقاء مع ابنتك. أخشى ألاّ يتوافر في جناح العرائس سرير آخر وذلك لأسباب معروفة.

أثار تعليقه هذا موجة من الإبتسامات ثمّ تابع: «لكنني سأطلب أن يرسلوا سريراً إلى هنا... أم تفضلين أن يوضع السرير في غرفة الجلوس».

ـ آه! لا! لا يمكننا أن نكلّفك كلّ هذا العناء...

لاحظت كايت فوراً ارتباك والدتها، كما لاحظت الابتسامة الساخرة على شفتي خافيار وهو ينصت بتهذيب إلى كلام «إليزابيت».

لم تشمئزّ إليزابيت من لعب دور الأم الحنون أمام خافيار إلاّ أنها ارتعبت من فكرة تأدية دور الممرضة. وتعلم كايت كم تخاف والدتها من المرض

خاصة مع إمكانية أن تنتقل العدوى إليها! لحسن الحظ، وباستثناء الحرق الذي تعرّضت له، كانت كلّ من كايت وسوزي طفلتين سليمتين. إلاّ أنّ الحروق التي أصيبت بها كانت بالغة وقد خلفت أثراً دائماً في نفسها كما جعلتها تكره المستشفيات.

قالت بسرعة: «أفضّل حقاً أن أعود إلى غرفتي، أنا أشعر بتحسّن».

قال والدها متوجهاً إلى خافيار: «لا تحب كايت أن يزعجها أحد وهي مريضة».

ثمّ توجّه إلى كايت: «أتظنين حقاً أنّ عودتك إلى غرفتك فكرة سديدة؟ إذا التقطت سوزي العدوى فسنصاب جميعاً بالمرض...».

أجابت كايت بسرعة: «آه! لا! يا إلهي! لا أستطيع أن أفعل هذا!».

فسوزي كأمها حين تمرض، تزعج من حولها وترفض أن تتألم وحدها.

وأضافت: «كما أنني لا أريد أن أنقل هذا الفيروس إلى النزلاء الآخرين».

ـ ستبقين هنا طيلة فترة مرضك يا كايت!

طريقته في لفظ اسمها جعلت جسمها يتخدّر ولم يكن هذا برد فعل جيد، وتمنّت أن يكون السبب هو شعورها بالانزعاج منه. تاقت حقاً لرفض طلبه لأسباب عديدة: أوّلاً، لأن غرائزها كلها تدعوها لعدم إطاعة هذا الرجل الغني المتعالي أبداً، وثانياً لأنها لا تريد أن تبقى بجواره، وثالثاً والأهم هو أن أمّها بدأت تحلّل وتفكّر كما يحلو لها وتظن أن علاقة ما تربط ابنتها بخافيار مونتيرو.

توترت كايت وفكّرت: إذا بدأت أمي تلمّح إلى الزواج فسأقتلها. ثمّ أطرقت بقلق إذ سيرسل خافيار حتماً أحد رجاله لقتل والدتها إذا راحت تطلق تعليقات عن زفاف محتمل.

قال «شارلز أندرسون» وقد بدا عليه الارتياح: «هذا عرض كريم حقاً، أليس كذلك يا كايت؟».

ابتسمت كايت لوالدها وحاولت جاهدة أن تقاوم النظرة الساخرة التي

www.rewity.com
gege86

بدت في عينيّ خافيار إلاّ أنّ محاولتها باءت بالفشل. رفعت ذقنها عالياً وتجاهلت الألم الذي أحست به في معدتها؛ ففيما كانت عاجزة عن رفض عرضه، حرصت على أن يدرك على الأقل أنّ البقاء هنا لا يسرّها!

أجاب بنعومة: «هذا أقل ما أستطيع فعله في ظلّ الظروف الراهنة».

ـ حتماً.

أجبرت كايت نفسها على الابتسام وهي تدرك كم سيلاقي كلامه هذا من استحسان. وصرّت على أسنانها وقد رغبت في تحطيم كبريائه شرّ تحطيم، ثمّ أجابت باستهتار: «نعم. هذا لطف كبير منه».

***

٥ ـ أرق ممرض

خُيّل إلى كايت أنّ ساعات مرّت قبل أن يغادر الجميع غرفتها لتبقى بمفردها. انتظرت حتى سمعت الباب يغلق لتنزل من سريرها وتبحث عن الحمام. تمتمت متذمّرة حين فتحت بابين وتبيّن أنهما خزانتان. كانت على وشك أن تفتح الباب الثالث حين أحسّت بيد تلامس كتفها وسمعت صوتاً أرعبها.

ـ عليكِ ألا تغادري السرير.

وضعت يدها على قلبها الذي راح يخفق بقوة واستدارت بسرعة ممّا جعلها تحسّ بدوار. أمسكت رأسها ونظرت إلى الرجل الطويل: «ألم ترحل...!».

وقبل أن يتسنّى له الوقت ليرفع حاجبه مستغرباً، اعترى كايت شعور بالسوء لإلقائها هذه الملاحظة السخيفة، فهو موجود بكلّ ما للكلمة من معنى!

وقف خافيار قريباً منها إلى حدّ أنها لو مدّت يدها لاستطاعت لمس صدره العريض. في الواقع، رغبت كثيراً في لمسه وأحسّت وكأنها طفل في محلّ حلوى يتوق إلى لمس كل ما يعجبه! ابتلعت كايت ريقها بصعوبة وفتحت عينيها جيداً قبل أن تجتاحها موجة من الأحاسيس الجياشة. لعلّها لم تعد تخاف منه على حياتها إلاّ أنها تخشى حقاً أن تفقد عقلها. كان لرجولته تأثير كبير على أعصابها يوازي تعرّضها لشحنة كهربائية قوية.

ـ خلتكِ نائمة.

www.rewity.com
gege86

وجدت نفسها تفكّر في ما سيكون عليه شعورها إذا استيقظت ووجدته نائماً بقربها، فابتلعت ريقها وحاولت إبعاد هذه الأفكار عن رأسها. لاحظت أنّ عينيه تتأملان جسمها فلفّت يديها بسرعة على صدرها وشعرت بالارتياح لأنها خلعت القميص الذي كانت ترتديه ولبست ثوب النوم الذي أحضره لها سابقاً. كان الثوب ناعماً جداً على بشرتها كما أنه يغطيها من رقبتها إلى أخمص قدميها.

لكن، بالرغم من تصميمه المحتشم والورود المطرّزة الجميلة حول العنق، كان ثوب النوم رقيقاً بعض الشيء.

ـ إذاً! خطر لك فقط، ماذا...؟ أن تحضر لتراني؟ أتبرّعت للعمل كممرّض أو أنّ جني المال أصبح مهنة مملّة بالنسبة إليك؟.

ـ لو أنّكِ وافقت على نقلكِ إلى العيادة كما اقترح الطبيب، لما اضطررت إلى...

صحيح أنها لم تكن في وضع يسمح لها أن تشرح لأهلها وللطبيب لماذا تعتبر ضيافة خافيار مزعجة وغير مرحّب فيها، لكنّها لن تقف مكتوفة اليدين من دون أن تشارك في النقاش حول الخيارات المتاحة للعناية بصحتها. عندما أدركت أنهم يفكّرون في نقلها إلى المستشفى، استجمعت قوّتها وأوضحت للجميع أنها لن تذهب إلى أي عيادة خاصة فالمستشفى يبقى مستشفىً بنظرها سواء أكان صغيراً أم كبيراً، وهي لن تذهب إلى أي عيادة حتى لو اضطرّوا إلى جرّها!

وعندما سمعت والدها يعتذر عن تصرّفها اللاعقلاني ويبرره مشيراً إلى عدد العمليات الجراحية التي تعرّضت لها في طفولتها، رمقته كايت بنظرة قاسية لم يتجرّأ بعدها على إكمال الحديث. فخوفها من المستشفى أمرٌ يعرفه كلّ المقرّبين منها لكنها لم تشأ كشفه لرجل كخافيار مونتيرو.

قالت بعناد: «قضاء ليلة في المستشفى بسبب ضربة على الرأس...! هذا هراء!».

ـ غالباً ما يتأتى عن الضربات على الرأس نتائج خطيرة... وأنا أشعر

بأنني مسؤول، ولو بشكل غير مباشر، عن إصابتك...

ـ أنت حقاً مسؤول عن ذلك.

ـ طلب مني الطبيب أن أنتبه إلى التصرفات المتهوّرة. ساعديني قليلاً... أهذا التصرف طبيعي بالنسبة إليك أم عليّ أن أقلق؟

قالت ساخرة: «أنت مضحك للغاية، لا بل أنت مهرّج...! أظنّ أنك تلازمني إذاً على أمل أن تسوء حالتي!».

لم يُجب على اتهامها السخيف بل رمقها بنظرة جعلتها تشعر بأن تصرفاتها طفولية ومثيرة للشفقة.

ـ طبعاً لا. كما سبق وقلتُ لكِ أشعر أنني مسؤول، ولو جزئياً، عمّا أصابك. إضافة إلى ذلك، من غيري بجوارك؟ أمّك؟

دافعت كايت عن أمها بحدّة: «لا تقحم أمي في الموضوع... لا يستطيع الناس جميعهم أن يلعبوا دور الممرّضة. حتى لو احتجت إلى ممرّضة، وأنا لا أحتاجها، فلن تشغل أنت هذه الوظيفة!».

ـ لعلك محقّة، ولكني الآن الوحيد بقربك، ولحسنْ الحظ أن جهاز المناعة لديّ قوي للغاية فأنا لا أمرض أبداً.

عندما سمعت هذا الكلام، عجزت كايت عن منع نفسها من أن تتمنّى أن يلتقط خافيار فيروساً، يجعل أنفه الأرستقراطي هذا أحمر ويحوّل هاتين العينين الزرقاوين اللامعتين إلى عينين حمراوين تذرفان الدموع من دون توقف.

ـ يا للأسف!

بدا أنّ تعليقها يسلّيه كثيراً. إلاّ أنّ شيئاً آخر لمع في عينيه، شيء تعدّى التسلية لكنّها عجزت عن فهمه. قالت: «ظننت أن الناس أمثالك يصفّقون بأيديهم فيحضر خدّامهم فوراً لتلبية أوامرهم!».

رفع حاجبه الأسود: «الناس أمثالي؟».

ـ الأغنياء النافهون!

ـ الثراء أمر نسبي. قد يظنّ الكثيرون أنك لم تتربّي في عائلة فقيرة،

arabic-novels.com
gege86

وآخرون أيضاً لن ينصفوك وسيعتقدون أنكِ ما كنتِ لتحققي النجاح الذي وصلتِ إليه لو لم يكن لديك. . .

سألت غاضبة: «ماذا تعرف عن إنجازاتي؟».

ـ والداك فخوران جداً بك. . .

اتسعت عينا كايت فزعاً بطريقة مضحكة. واستطاعت أن تتخيّل ما جرى: والدها يتحدّث بفخر عن ابنته الذكية. يا إلهي! يا للإحراج. . . !

ـ أتعني أبي؟

ندمت كايت على الفور لأنها سمحت له بأن يدفعها إلى إبداء هذه الملاحظة.

ـ لا، أعتقد أنّ أمك تفضّل أن تراك متزوجة من شخص مهمّ.

كادت تقول «شخص مثلك» إلاّ أنها عدلت عن ذلك وقالت: «وأظن أنك تعتقد أن الشخص المهمّ هو الشخص الذي يملك مالاً وفيراً. . .».

ـ لا، لكني أظن أن هذا هو رأي أمك.

واستدار وقد ظهر الانزعاج في صوته: «يزعجك حقاً أن يظلمك الناس في حكمهم عليك، أليس كذلك؟».

أومأت كايت: «طبعاً يزعجني هذا».

كانت كايت تعرف أنها تتمتّع بامتيازات يفتقر إليها معظم الناس، لكنها عملت جاهدة لتصل إلى مكانتها هذه ولم تستعمل أبداً اسم والدها لتنال مبتغاها، علماً أن ذلك كان ليفتح أمامها أبواباً عديدة.

ـ وبالرغم من هذا أنتِ لا تترددين في الحكم عليّ؟ إن تفكيرك القانوني ممتاز. ألا تجدين في موقفك مني بعض التناقض. . . ؟

في الواقع، تفضّل كايت أن تسير على الجمر الحار قبل أن تعترف بصحة توبيخه وأحست بوجنتيها تشتعلان وهو يرمقها بنظرة ساخرة.

قال: «أكره الجلوس ساكناً من دون القيام بشيء، فهذا الأمر يضجرني. . .».

جاءت نبرته فاترة لكن كايت صدّقت تماماً ما قاله، فالرجل الواقف

أمامها ليس ممن يحبون الراحة. واستحال عليها أن تتخيله يقضي الأمسية جالساً على كنبة يتفرّج على فيلم قديم معها، ليس لأنه لن يدعو أبداً فتاة مثلها لتمضية الوقت برفقته، بل لأنه شخص ديناميكي للغاية لم يسبق لها أن التقت مثله من قبل. قالت مزهوّة بنفسها: «أطلب منك السماح فأنت رجل ثريّ ونشيط».

ـ ألسنا نحيد قليلاً عن الموضوع هنا؟ دعي حسابي المصرفي جانباً للحظة. طلب الطبيب أن تلازمي السرير حتى الصباح.

قالت بمكر: «ثمة مشكلة صغيرة، عليّ أن أدخل إلى الحمّام الآن».

مال برأسه إلى جهة واحدة بحركة بدأت كايت تعتقد أنه يتميّز بها. تقبّل خافيار كلامها بهدوء كامل قبل أن يومىء برأسه بطريقة توحي بالحصول على الموافقة الملكية.

تذمّرت: «لعلك تملك المكان لكني أعتقد أنك تعلم أنّ وجود ضيوف غير مرحب بهم في غرف نوم النزلاء أمر غير قانوني».

لعلّ ما قالته ليس بالكلام الملائم لأنها تقيم في الجناح الرئيسي بسبب لياقة المالك. لكن وجوده يزعجها بشدّة تمنعها من التصرف بكياسة وتهذيب.

اقترح ببساطة: «ربّما علينا أن نناقش تعريف عبارة التعدّي على الأملاك».

ثمّ تابع: «الباب الثاني إلى الأسفل».

ومال برأسه مشيراً إلى الطريق الذي يتعيّن عليها سلوكه.

تمتمت كايت بصوت مرتفع قليلاً ليسمع: «أينما أذهب أراه أمامي! قد يظنّ الناس أنك معجب بي».

تركّزت عيناه الزرقاوان على شفتيها الممتلئتين وسألها: «أسيكون هذا أمراً غير اعتيادي؟».

بحة صوته التي ترافقت مع نظرته الثاقبة جعلت كايت تهرع إلى الحمام. وسمعت ضحكته فرفعت ذقنها، ورفت عينيها ثم أطلّت برأسها

www.sewity.com
gege86

من وراء الباب.

ـ نعم.

صرخت هذه الكلمة بسرعة قبل أن تدخل مجدداً وتصفق الباب وراءها.

استندت إلى الحائط حتى ينتظم تنفّسها وتنبهّت إلى الابتسامة المرسومة على شفتيها. سيظن الناس أنها تستمتع بتبادل الإهانات مع هذا الرجل البغيض.

بعد مرور بضع دقائق، خرجت من الحمام لتراه مستلقياً على كرسي من الجلد وضعه قرب سريرها. وقف حين تقدّمت وسكبت لنفسها كوب ماء مثلّج من إبريق ظهر بطريقة سحرية على الطاولة بجانب سريرها.

تمتم حين صعدت إلى السرير وهي لا تزال ملتفّة بذلك الرداء الطويل: «أظن أن الطبيب نصحك بشرب الكثير من السوائل، وربما عليك ألاّ ترتدي ثوب النوم هذا».

همست: «كان عليك أن تخبرني...».

فسأل مستغرباً: «أخبرك بماذا؟».

وكأنه لا يعلم. قالت: «بأن الرداء اللعين رقيق».

لم تكن تخجل بجسدها. ولم يكن يزعجها أن يراها أحدهم عرضاً إنّما ما أزعجها ودفعها لوضع رأسها تحت الماء البارد الجاري إلى أن عجزت عن التنفّس، هو أن خافيار قدّم لها ثوب النوم هذا بنفسه.

ـ لم أنظر.

هذا التعليق الكاذب دفع كايت إلى الضحك. إذاً فالرجل يتمتّع بحسّ فكاهة!

قالت بحزم: «هذه المسألة ليست مضحكة».

ذكّرها بلطف: «لم أكن أضحك».

وقرّرت كايت استباق ما سيقوله: «أظنّ أنك رأيت ما يكفي لتدرك أنني لست الفتاة التي رأيتها في الصور».

من المستحيل أن ينسب الجسم الخلاّب الذي رآه في الصور إليها.

قال: «آه، الصور! ضلّلني لون الشعر النادر».

وتركّز نظره على شعرها الرطب المنسدل على كتفيها. وقال: «سبق أن أدركت أنك لست الفتاة التي تعرض مفاتنها في الصور».

طبعاً، فجسم الفتاة في الصور لا يحمل أي آثار للجراح، يا لسخفي...!

ـ للأسف، لم تلحظ هذا قبل أن تعاملني بازدراء!

ذكّرها بجفاء: «لم أكن الوحيد الذي وصل إلى استنتاجات خاطئة».

تمنّت كايت لو تستطيع أن تنسى، واستعادت بانزعاج ذكرى الإذلال الذي شعرت به نتيجة ما جرى.

قالت بحدّة: «ظننت فقط ما أردتني أن أفكّر فيه. لقد ناسب أهدافك أن أموت خوفاً منك. أليس كذلك؟».

وافقها الرأي: «القليل من الخوف يحلّ مسائل هامة».

لم تتفاجأ كايت حين لم يبد أي ندم على تصرّفاته، إذ يبدو جلياً أن هذا الرجل يفتقر إلى الأخلاق!

وتابع: «بالمناسبة، بدا واضحاً أنك شخص يصعب حقاً إخافته».

ـ هل أنت خبير في التخويف؟

لم يتأثّر بإهانتها له بل بدا مرتاحاً، غير مهتم. صرّفت كايت بأسنانها غاضبة؛ ولو لم تختبره لظنّت أن ما من شيء يستطيع إثارة أعصابه. وخطر لها أنه إذا تمّ استدعاؤه إلى منصة الشهود فسيزعج المحامين شرّ إزعاج!

ـ لا حاجة لخبير لكي يدرك المرء أنك امرأة لا تسمح بأن تعامل بسوء.

راحت كايت تفكّر: أتراه وجّه إليّ مديحاً أم إهانة أعجز عن فهمها؟ وبدا الارتباك على وجهها البريء الذي لطالما حيّر ألدّ خصومها؛ لكنها استطاعت بعد أن بذلت قصارى جهدها أن تتابع النظر إليه من دون أن تشيح بوجهها بعيداً.

قالت أخيراً: «أظنّ أنك لا تزال تحتفظ بالصور».

www.rewity.com
gege86

فأكدّ لها بحذر أغاظها: «إنها بأمان».

قطبت جبينها وهي تحاول استجماع قِواها: «إنها لي».

وعجزت عن تجنب النبرة اليائسة التي ظهرت جلية في صوتها.

كشفت نظرتها الحادة عن مدى توتّرها وقسّت ملامحها. فقال كمن اعتاد إصدار الأوامر: «سنناقش هذا الموضوع غداً صباحاً بعد أن ترتاحي وتخفّ حدّة مشاعرك. سأكون في غرفة الجلوس، فلدي بعض الأعمال المكتبية التي عليّ أن أهتم بها. إذا احتجت شيئاً، فلا تتردّدي في مناداتي».

ردّت كايت بقوة: «سنناقش الأمر الآن!».

خشيت كايت أن تخدعها تصرفاته اللائقة وتنسى أنه خصمها.

تفحصّ خافيار وجهها المضطرب الأحمر وقال: «على الأرجح، هذه فكرة سيئة».

ـ لعلمك فقط، أنا لا أهتمّ البتة بما تظنّه.

وتلاشى تأثير نبرة الاحتقار عندما ارتجف صوتها.

قال وهو يعود للجلوس في مقعده بجانب السرير: «كما تشائين، أظنك كنت موكّلة... من بالتحديد... عندما اقتحمت الغرفة؟ للفتاة التي تظهر في الصور؟ أختكِ؟».

ازدادت نبرة صوت كايت اليائس حِدّة عندما شعرت أن أسئلته تزعجها: «لم أقتحم المكان. كان الباب مفتوحاً...».

واعتبر خافيار عدم نفيها الإتهام دليلاً على صحته فتابع: «كان غونزاليس يبتزّها؟ أهو حبيبها؟».

ردّت: «ليس حبيبها، لقد خدعها... حتى عندما...».

وتوقّفت فجأة عن الكلام وقد اعتراها الفزع لأنها أكدّت شكوكه حول سوزي، وشرعت تسأله: «كيف تمكّنت...».

ـ لم يكن صعباً عليّ التوصّل إلى هذه الاستنتاجات. فبعد الاستماع إلى حديث والديك اكتشفت أنّ شقيقتك فتاة مدلّلة... إنها من الأشخاص الذين يرسلون شخصاً آخر لحلّ مشاكلهم الخطرة والقذرة.

تمنّت كايت لو تستطيع إنكار ما يقوله، لكن للأسف، كان كلامه صحيحاً.

عارضته: «أنت لا تعرف شيئاً عن وضع عائلتي».

وافقها الرأي فيما تركز انتباهه على أصابعه الطويلة وليس على وجهها: «هذا صحيح، لكن العائلات تتشابه كثيراً».

وفتح عينيه فلمحت كايت فيهما طيف ندم! كان ذلك للحظة وجيزة فلم تعد واثقة من أنها لم تتخيّل هذا.

وفجأة، ابتسم ابتسامة غير متوقّعة أنارت ملامحه فشعرت كايت برئتيها تطبقّان وعجزت عن التنفّس. فكّرت في أنه جذّاب حين يبتسم. قال: «انزعي الثوب عنكِ قبل أن ترتفع حرارتك مجدّداً فيقع اللوم عليّ».

ردّت مرهقة: «أنا متعبة قليلاً».

ـ لا بدّ أن جسمك كله يؤلمك بسبب الرضوض.

كان ينبغي أن يثير هذا الاهتمام الصادر عن شخص تحمّله مسؤولية ما جرى لها سخريتها، لكنها وجدت اهتمامه ونبرة صوته العميقة مهدّئين، فقطبت ولم تجب بل انزلقت تحت الغطاء.

لن تبدو تصرفاتها غريبة البتة إذا ما تمّت مقارنتها بتصرّفات خافيار، الذي راح يسوّي لها وساداتها ويتأكّد من أنها مرتاحة. بدا هذا الأمر غريباً للغاية، لا بل غير واقعي!

بالنسبة إلى رجل مثله، فهو يؤدي مهمّته بمهارة.

سألها وهي تضع رأسها بضعف على الوسادات: «هل أنتِ مرتاحة؟».

أومأت كايت وقد ثقلت عيناها وباتت عاجزة عن التركيز على وجهه الأسمر. وقالت من دون أن تتمكّن من إخفاء ابتسامتها: «إذا أخبرتُ أحداً أنك تقوم بهذا لما صدّقني».

ثمّ أوضحت كيلا يظنّ أنها ستتباهى بأنه رتّب لها الوسادات: «لا تقلق فأنا لن أخبر أحداً».

أخذ يتأمل وجهها، واستطاعت كايت أن تتخيل مظهرها بعد الصدمة

www.rewity.com
gege86

التي تلقّتها.

صرح بحماس قبل أن يخرج: «لستُ قلقاً».

استعدّت كايت لتخلد إلى النوم في الغرفة الهادئة حين أدركت فجأة أنها لم تستعد صور سوزي بعد.

فوعدت نفسها بصوت مرتفع: «غداً صباحاً».

* * *

٦ ـ صفقة مؤبّدة

عندما استيقظت كايت، كانت خيوط أشعة الشمس الذهبية قد تسللت من النوافذ الخشبية وحاكت ظلالاً على الحائط المقابل للسرير.

وضعت يدها على رأسها ومرّرت أصابعها في شعرها وهي تتثاءب. غمرتها سعادة لا توصف حين شعرت بملمس الكتان الناعم على السرير الكبير المريح، لكن استرخاءها لم يدم سوى ثوانٍ واختفى حين عاودتها ذكريات الليلة الفائتة.

«لِمَ حصل هذا لي؟»

لن تسمح لنفسها بالاستسلام للانزعاج وللأفكار السوداوية. وفجأة، داعبت أنفها رائحة ذكية فاستدارت لتجد صينية مليئة بالطعام الشهي. عندئذٍ، أصيبت كايت بالذهول.

يجب أن تستعيد صور سوزي وتتابع عطلتها التي باتت بأمسّ الحاجة إليها وتدع خافيار مونتيرو وراءها وتنسى أنها التقته يوماً. ظهرت صورته فجأة أمام عينيها فخطر لها أنها لن تنساه كلياً لكنه سرعان ما سيصبح ذكرى غامضة.

تفاجأت كايت عندما أيقنت أنها جائعة، لا بل تتضوّر جوعاً. فهذه علامة جيدة، أليس كذلك؟

قامت ببضع حركات حذرة أظهرت لها أن آلام الليلة الفائتة اختفت. وحين هزّت رأسها شكرت الله لأنها لم تعد تشعر بأيّ ثقل فيه. لا بدّ أنّ الجرثومة التي جعلتها تمرض لم تتمكن من التغلب على مناعة جسمها.

www.4ewity.com
gege86

كانت الصينية تحمل أنواعاً عدة من المأكولات كافية لإشباعها، وعندما فكّرت في الأمر رأت أن لا خطر في أن تزيد ما تدين به لخافيار بقبولها ضيافته. تناولت طعامها بشهية وتساءلت عن هوية من أحضر لها الفطور فيما هي نائمة. هل سهر خافيار بجوارها الليل بطوله أم أنه تقاعس عن إداء مهمته؟ بدا الاحتمال الثاني أكثر واقعية.

حاولت كايت عدم التفكير في أن خافيار راقبها وهي نائمة لذا تناولت رغيف خبز ساخناً ووضعت عليه الزبدة والعسل الموضوعين بجانبه. وتدفّق ريقها حين امتزجت رائحة القهوة الطازجة برائحة الفواكه الطازجة. رفعت الغطاء عن الطبق لتجد بيضاً مخفوقاً شهياً، وتناولت شوكة فضية لتختار قطعة «سلمون» مدخّن وجدت طعمها لذيذاً.

كانت كايت قد استحمت، لكنها لا تزال ترتدي ملابسها التي وجدتها مطوية بطريقة مرتبة وموضوعة على ظهر الكرسي في الحمام، حين سمعت أصواتاً في الغرفة الأخرى. كانت الثياب بمقاسها تماماً، ولما لا تكون؟ فهي من اشترى التنورة الخضراء والقميص ذا القبة العالية الأسبوع الفائت.

كانت تنتعل خفّها الجديد المفتوح حين سمعت جلبة قوية. لا بدّ أن شخصاً فوضوياً للغاية يحدث هذه الضجة أو لعلّه شخص يحاول إعلامها بأنها ليست وحيدة... وهذا يستثني خافيار الذي لم يظهر بعد أي دليل على اللياقة والكياسة.

وبالرغم من اقتناعها بأنه ليس المسؤول عن هذه الضجة، تمنّت كايت وهي تنظر إلى وجهها الشاحب في المرآة أن تكون عدّة التبرّج في حقيبة يدها. وبما أنها تتمتّع بجمال طبيعي لم تكن تضع على وجهها إلا القليل من أحمر الشفاه اللمّاع وظلالاً للعيون فاتحة اللون.

حاولت كايت أن تنكر أيّ تلميح إلى أنّها تنوي التبرّج للتأثير في أحدهم، وخاصة إذا كان هذا الشخص هو خافيار مونتيرو. لقد أرادت فقط أن تشعر بالثقة، والتبرّج قليلاً يمنحها هذه الثقة، شأنها شأن أي امرأة أخرى. وهي تحتاج حقاً للكثير من الثقة لمواجهة خافيار مونتيرو!

نظرت إلى نفسها في المرآة وابتسمت راضية عمّا رأته. من تُراني أخدع؟ أرغب حقاً في أن أثير إعجابه؛ فمن لا يرغب في ذلك؟

لن يحصل هذا إلاّ في أحلامها، فهي لا تتمتّع بالمؤهلات اللازمة التي تتميّز بها سوزي ومثيلاتها من النساء.

* * *

ـ أرجو ألاّ تكوني قد أقفلت باب الحمام.

لا بدّ أنّ خافيار يتمتّع بسمع مرهف للغاية إذ كان يدير ظهره ولم يرها تدخل غرفة النوم.

بدا مغتاظاً للغاية، وفكّرت خائفة بأنها ليست بداية مبشرة.

لا بدّ أنه ضاق ذرعاً بي ليدير لي ظهره بهذه الطريقة! وسرعان ما شردت تتأمل كتفيه العريضتين وظهره المستقيم.

بدأ تفكيرها به بريئاً إلاّ أنها ضلّت الطريق وهي تتأمل جسمه المتناسق.

أخذت كايت نفساً عميقاً لتبعد الأفكار الغريبة التي شغلتها.

لا بدّ أنه ضاق ذرعاً بها؛ فهي لم تكن إلاّ مصدر إزعاج بالنسبة إليه. ومن المنطق أن يسلم الصور بدون جلبة كي يتخلصّ منها.

بدت ملامح وجهه قاسية وهو يستدير فتأكدّت من أنه ليس بمزاج حسن. راح يحدّق إليها وهو يفرك أصابعه، واكتشفت أنّ الرجل الذي ينظر إليها يختلف تماماً عن الصورة التي كوّنتها عنه البارحة. ويبدو أخطر من الرجل الذي خالته مجرماً.

هذا الرجل مذهل حقاً فهو متعدّد الشخصيات والوجوه. راحت دقات قلبها تتسارع فخيّل إليها أنه سيقفز من صدرها في أي لحظة.

لم ترغب كايت في تحليل شخصية هذا الرجل المعقدّة، فمعرفتها السطحية به تسبّب لها ما يكفي من المشاكل. أشارت ملامح وجهه إلى أنه لم ينم لثماني ساعات متتالية.

لا شك في أنه من الأشخاص الذين يكتفون بساعات قليلة من النوم

www.rewity.com
gege86

ويشرب القهوة، في حين أنّها تحتاج إلى ثماني ساعات من النوم يومياً.

شعرت بعد أن راقبها ببرودة أنها تفتقر حتماً إلى شيء ما، واجتاحت موجة من الانزعاج جسمها. وراحت تتساءل منذ متى تهتمّ إذا لم يُعجب رجل ما بثيابها؟ ما من داعٍ لأن تشعر بالإساءة، فهو حرّ في رأيه تماماً كما هي حُرّة في عدم الإكتراث لرأيه البتة!

أطرقت تفكّر: لا بدّ أن مظهري صدمه بعض الشيء. لعلّه لا يدرك أن النساء الخلاّبات اللواتي يستيقظن بجواره يقضين تسعين بالمئة من وقتهن في الاهتمام بمظهرهن الخارجي. لقد أفسدت النساء اللواتي يكرّسن وقتهنّ للعناية بجمالهن ذوقه فبات لا يميّز جمال النساء من أمثالها.

لحسن الحظ أنها لم تنجذب يوماً إلى الأشخاص المتوسطين. لن تتشتّت أفكارها حتى لو استخدم كل مقوّمات جماله وجاذبيته الأخّاذة. عليها أن تحافظ على تركيزها! يجب أن تفكّر كثيراً في سوزي وقليلاً بوجهه المثير.

رفعت ذقنها بحدّة وأظهرت عزمها الشديد وراحت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. قالت وهي تهزّ رأسها: «إذا ظننت أن مظهري سيء، فقد كان عليك رؤيتي قبل أن أستحمّ».

لقد سبق أن رآها.

عرف خافيار على مرّ السنين عدداً من العشيقات، إلاّ أنه لم يعتد أبداً قضاء الليل بأكمله برفقتهنّ؛ ولهذا السبب أذهله جمال وجهها. لكنه رأى أنّ إطلاعها على رأيه فكرة غير سديدة نظراً للعدائية المفرطة التي تظهرها.

ـ هل قمت بشيء أساء إليك؟

باستثناء النظرة المتعالية!

ـ لم تعجبني لهجتك.

وحاولت كايت تجاهل نظرة التسلية التي بدت في عينيه وهو يراقبها تتنقل في الغرفة.

ـ ألديك شيء ما ضد اللهجة الاسبانية؟

ـ لا، لديّ شيء ضد الرجال الديكتاتوريين مهما كانت جنسيتهم.

لا تنوي إخباره أنها تجد لكنته جذابة للغاية وأن صوته الخشن يجعلها ترتجف.

ـ لم أقفل الباب...

أحنت رأسها إلى الأمام وهزت شعرها الرطب، ثمّ مررت أصابعها في الخصل الحريرية ورشّت بعض الماء عليه. حين أرجعت رأسها إلى الوراء لمحت في عينيه شعوراً أوشكت أن يفقدها السيطرة على نفسها. وسواء أكان ما رأته حقيقياً أم وهمياً، فقد جعلت نظرته المثيرة أعصاب معدتها تضطرب بشدة.

ردّت بعنف: «لو أدركت أنك هنا لأقفلت الباب حتماً».

رفع حاجبه بشكل معبّر. بدا أنه لم يتأثّر بعدم خوفها منه، لكن صعب حقاً أن يصدّق أنها لا تهابه في حين أنّ صوتها يرتجف ويرتعش.

ـ وماذا كنت لتفعلي لو شعرت بضعف وانهرت؟

كانت تدرك تماماً أنها لا تملك أي ردّ، لذا اكتفت بإيماءة من رأسها. فتحت ذراعيها واستدارت فرحة: «كما ترى. أنا بصحة جيدة ولا أعاني من شيء».

لرغبت حقاً في الإبتسام أكثر لو لم يكن رأسها يدور كدوامة. وظنّت أن السبب في ذلك يعود إلى مرضها أو ضعفها، لكن لا، فالسبب هو أنها تتنفس الهواء عينه كهذا الرجل الغني الذي حوّلها إلى امرأة مضطربة.

ـ لا أعاني صداعاً أو آلاماً أو أوجاعاً. في الواقع أنا بخير.

تناول حبة دراق من صينية الفطور وقضمها.

حبست كايت تنهيدة، فقد تركت حبّة الفاكهة بعض الرطوبة على شفتيه المثيرتين ما جعل عضلات معدتها تتقلص بشدّة.

ـ قبل أن تتبختري في أنحاء الغرفة...

وتوقف خافيار عن الكلام للحظة وراح يتأملها وهي تسير في أرجاء الغرفة وتنورتها تهتزّ يميناً ويساراً.

لاحظت كايت أنّ نظر خافيار مسمّرٌ على تنورتها، فتساءلت عما إذا

www.rewity.com
gege86

أوقعت القليل من معجون الأسنان عليها. وضعت يدها على التنورة وشدتها فلم ترَ فيها أي خطب. وعندما عاودت النظر إليه، كانت عيناه مسمرتين على وجهها، وبدت ملامحه غير معبرّة بالرغم من نظرة الفضول في عينيه.

ـ أو تقومي بالرياضة، عليّ إخبارك أنني أتقبل فكرة إصابتك بجرثومة تختفي بعد أربع وعشرين ساعة. أمّا أنّك...

وهزّ رأسه بهدوء ثمّ تابع: «... فهذه قصة مختلفة. أظنها لن ترضى إلاّ بشهادة طبية وبقضائك أسبوعاً في الحجر الصحي. وأعتقد أنّ أختك سُرّت كثيراً لأنكِ قضيت الليلة هنا».

تفاجأت كايت من دقة ملاحظته، فلم تكن أمّها لتعرّض نفسها لخطر التقاط العدوى حتى وإن كان هذا الاحتمال ضعيفاً.

ـ أرأيت سوزي؟

سبق لخافيار أن رأى فتيات عديدات كسوزي، ولم تترك أيّ منهنّ انطباعاً لديه. لكن أختها أثّرت فيه كثيراً، فكايت من الفتيات اللواتي يصفهنّ جدّه بأنهن مثيرات للاهتمام. سُرّ كثيراً عندما أدرك أنها لم تحاول أن تخفي تلك الندوب غير المهمّة، والتي يعتقد أنها تعكس جمال بشرتها السليمة.

كانت كايت ستدهش حقاً لو أدركت أنه يقدّر ثقتها بنفسها. أحنى رأسه وقال: «كانت حرارتك البارحة مرتفعة لكنكِ أبيتِ ملازمة السرير، وأشك حقاً في أن تنصاعي اليوم لنصائح الطبيب ونصائحي. ظننت أنك ستسرّين بارتداء ملابسك الخاصة اليوم، ولا بدّ لي أن أقول إنكِ تبدين رائعة للغاية».

راحت كايت تحدّق بغرابة إلى قدميها ثمّ احمرّ وجهها كفتاة في المدرسة تلقت مديحاً غير متوقّع.

ـ لولا الكدمة...

أجبرت كايت نفسها على ألاّ تبتعد حين تقدّم منها، ورفع خصلة من شعرها ومرّر إصبعه على صدغها المتورّم من جراء الضربة. حبست أنفاسها

بشدّة فاعتذر: «آسف».

أومأت كايت وعاد شعرها كما كان بعد أن أبعد يده عن وجهها. لم تكن لتخبره، حتى تحت التهديد، أنها لم تتنهدّ بسبب الألم بل بسبب شعور آخر.. جعلتها الرعشة التي سرت في عروقها تدرك أنها كانت تنتظر منه تصرفاً ما بدون جدوى وشعرت بالإحباط.

مرّرت طرف لسانها على شفتيها: «ما زالت الكدمة طرية قليلاً، لكن لا تقلق فأنا لن أرفع دعوى».

ردّ بجفاء: «هذا تصرف حكيم نظراً للظروف الراهنة. فكشف الحقيقة سيلحق الأذى بمهنتك أكثر مما سيضر بمهنتي».

عارضت: «لم أكن أفعل شيئاً سيئاً».

ـ آه حسناً، لكن شخصاً بمركزك يجب ألاّ يكون بعيداً عن الشُبهات فحسب، بل عليه أن يبدو أيضاً بعيداً كلّ البعدُ عنها.

ـ هذا قول ساخر.

ـ أنت محقّة.

ـ علينا أن نتفق على الاختلاف في الرأي.

وترافقت كلماتها مع شبه ابتسامة، ثمّ تابعت من دون تركيز كما لو أن الفكرة خطرت لها للتو: «لا تقلق بشأن راحتي. لكن قبل أن أرحل، عليّ أن آخذ الصور معي وأبتعد عن طريقك».

ـ أنا واثق من أننا سنتمكّن من التوصل إلى اتفاق مرضٍ.

صرخت وضربت الأرض بقدمها: «لا أريد اتفاقاً مرضياً!».

ما من جدوى من الطلب منه بتهذيب، فالتهذيب لا ينفع مع شخصٍ مثله: «أريد الصور، الآن».

قال: «بحق الله، يا لطبعك الحاد! اهدئي، أنا متأكد من أننا نستطيع التفاوض».

ردّدت وهي تضع خصلة من شعرها وراء أذنها: «نتفاوض؟».

اتّسع أنف خافيار حين اشتم رائحة الشامبو المنبعثة من شعرها، والتي

www.dewity.com
gege86

امتزجت برائحة عطرها الخفيف. شعر بجسمه يتفاعل مع الرائحة وأجفلته قوة هذه التفاعل.

قال متمهلاً: «التفاوض... أريد شيئاً وتريدين شيئاً آخر، وقد نتوصل إلى اتفاق مفيد للطرفين يتطلب القليل من التنازل. أنت محامية ولا بدّ أنك اعتدتِ هذا النوع من الأمور».

سألت كايت وهي تلفّ يديها على صدرها: «ما الذي أملكه وتريده؟»

ولمحت في عينيه نظرة قلق.

ـ أحتاج لأن أتزوج.

لم تتوقع هذا الجواب. فأجابت متردّدة: «عفواً».

اعتادت كايت أن تدقّق في الكلمات المستعملة ولاحظت أنه استعمل فعل «أحتاج» بدلاً من فعل «أريد».

ـ لم تسأليني بما يعنيكِ هذا الأمر؟

قالت متنهدّة بقوّة: «ظننت أنك ستخبرني بذلك... تدريجياً».

التوت شفتاه، وتابع على مهل: «جدي رجل قديم الطراز في أمور عديدة...».

ـ قد نسرّع الأمور قليلاً إن أخبرتك بما أعرف. نحن نتحدث عن «فيليبي مونتيرو»، صاحب المال والسلطة وعن رغبة الأقرباء الجشعين جميعهم بالحلول مكانه، أليس كذلك؟.

لم تكن كايت تكترث كثيراً بالشؤون الإقتصادية في الجرائد، لكن عليها فهم بعض الأمور الأساسية.

أجاب بجفاء: «والذي يعاني من سرطان سيودي بحياته».

توقفت كايت عن الابتسام وشعرت بأنها إنسانة عديمة الإحساس: «آه، يا إلهي! أنا آسفة، لم أكن أعرف».

قال: «لا تقلقي، لا أحد يعرف. إذا تسرّبت أخبار مرضه إلى السوق المالية، فستهبط قيمة أسهم «مونتيرو» وستتكبّد الشركة خسائر بالملايين. فبالنسبة للعالم، جدّي هو شركة «مونتيرو». الحلّ الأفضل هو أن ينتقل

صولجان الرئاسة إلى الوريث قبل أن تتسرّب هذه الأخبار للعلن».

هذا التحليل البارد أرعب كايت، وراحت تراقب وجهه لكنها لم تستطع أن تلاحظ أي ردّ فعل على مرض جدّه. ألا يعنيه هذا الأمر كثيراً؟ أهو قاسي القلب إلى هذا الحدّ؟

ـ تريد أن تكون وريثه.

ـ أنا الوريث المنطقي. فبالرغم من أن عمي وأبناءه يتمتّعون بمقدرات عديدة، إلاّ أنهم يفتقرون إلى المميّزات القيادية.

اندهشت كايت من تعجرفه: «لكنكَ تتمتّع بهذه المميّزات...؟».

لم تكن واثقة ما إذا لاحظ النبرة الساخرة في صوتها.

تشدّق: «أنا كذلك، ولا أرى سبباً يدعوني لإنكار هذا. ظننت أنكِ، من بين كل الناس، ستقدّرين صراحتي، ولكنني نسيت التفاخر البريطاني. أيجعلني ما قلته أبدو إسبانياً متعجرفاً؟».

احمرّت كايت غضباً من سخريته: «لا أرى أين المشكلة! يحتاج جدّك إلى وريث، وها أنت! ما علاقتي أنا بكلّ هذا؟».

ـ لم أتفق وجدي دائماً؛ فهو ليس رجلاً مرناً...

استمعت كايت إلى حديثه لكنها لم تكتشف بعد علاقتها بهذا الموضوع؛ فسألته متوسّلة: «هلاّ دخلت في صلب الموضوع؟».

ـ أخبرني أنني سأكون وريثه لكنه، وهنا تتجلى أفكاره القديمة، اشترط أن أتزوّج. وقد تكبّد عناء تحديد مواصفات الزوجة المناسبة.

ـ ألا يظن أنك قادر على إيجاد زوجة ملائمة؟

وثلاثت الابتسامة الساخرة عن وجهها حين فكّرت بتفسير ملائم لتدخّل جدّه في هذا الأمر. وسألته: «أنت لست...؟».

ونظرت إليه مجدّداً... إنه رجل طويل، جذاب ورجولي. ابتسمت لمدى سخافتها، لا يعقل أن يكون ممن يكرهون النساء. لا بدّ أن هناك تفسيراً منطقياً آخر، لكن ما هو يا تُرى؟

جمد خافيار وقد نفد صبره: «أنا لستُ ماذا؟».

gege86

أخفضت كايت عينيها فيما هزّت رأسها محاولة ضبط لسانها ومنع نفسها من التفوه بكلام سيجعلها تبدو سخيفة وسيهينه في الصميم ويفسد الصفقة. ثمة أسئلة لا تطرح على الرجل خاصة إذا كان إسبانياً! والتشكيك في الرجولة يندرج ضمن هذه الأسئلة، كما أنّ آخر ما تحتاجه اليوم هو أن يقدّم لها عرضاً لإثبات رجولته. أطلق خافيار صرخة احتجاج حين راقب تعبير وجهها. ومن دون أن يحذّرها، اقترب منها ورفع ذقنها بيده. لم تقاوم كايت، لأنها كانت مدهوشة للغاية، فاكتفت بمراقبته.

راقب وجهها للحظة طويلة بدت أبدية بالنسبة إلى كايت.

تمتم: «بحق الله! هذا ما قصدته، أليس كذلك؟».

احمرّ وجهها من الذنب، وأبعدت ذقنها ثم جلست على كرسي فيما كانت ركبتاها ترتجفان.

أجابت مراوغة: «قد أتمكّن من التأكيد أو الإنكار لو علمت عما تتحدّث...».

صاح: «لم أضطر يوماً إلى إثبات رجولتي».

غطّت كايت وجهها وتأوّهت. كيف عساها تجادل شخصاً يملك القدرة على قراءة أفكارها؟

وتابع بمكر: «لكنني لم أهرب يوماً من تحدٍ...».

اختلست كايت النظر إليه، ولم يعجبها كلامه لكنه تابع باعتزاز: «دعيني أؤكد لكِ أنني أحبّ النساء».

وأراهن على أن النساء يعشقنك بدورهنّ.

قالت: «أنا مسرورة لك، كانت هذه مجرّد فكرة عابرة. ما من داعٍ لأن تثبت لي رجولتك، فأنا أصدّق تماماً أنك تحب النساء».

وخشيت أن يلجأ إلى إثبات رجولته بممانقتها مثلاً. من المرعب والمخيف حقاً أن يعانقها في مثل هذه الظروف. لكنّ جزءاً منها ظلّ يتساءل عما إذا كان عناقه يستحق التضحية، لإشباع فضولها وحسب... ما

سيكون شعورها لو عانقها خافيار مونتيرو؟

ـ يشعرني هذا بالارتياح.

ضاقت عينا كايت فيما حدّقت إليه بإزدراء: «لا بدّ أنّ جدك تدخّل في الأمر لأنك غير ناضج للخوض في التزام كهذا».

يحقّ للمرء أن تخطر له أفكار جنونية من دون أن يضطر إلى تبريرها، ثمّ تابعت: «للحظة وجدت نفسي قلقة على كبريائك الإسبانية التي أسأت إليها بالتشكيك في رجولتك».

قال بجفاف: «كان الأمر وشيكاً».

تذمّرت كايت: «ما من قوة قادرة على قهر كبريائك».

ـ آسف لأنني لا أشبه الصورة التي كوّنتها عن الرجل المتوسطي. سأفتح أزرار قميصي إذا شئت.

وفتح زرّ قميصه فكشف عن بشرته الذهبية التي يغطيها القليل من الشعر، ثمّ تابع: «وسأضع قلادة ذهبية أيضاً، ما رأيك؟ أسيشعرك هذا بالأمان؟ أم عليّ أن أقوم بشيء آخر؟».

الأمان؟ تجمّد الدم في عروق كايت فيما تسمّرت عيناها على صدره الأسمر. طالما بقيت في البلد نفسه مع هذا الرجل الذي يُحرّف كلّ ما تقوله، فلن تشعر أبداً بالأمان.

أنكرت: «أنا لا أصنّف الناس. كلّ ما في الأمر أنك عازب ولم تعد شاباً يافعاً...».

بدا هذا العذر واهياً حتى بالنسبة إلى كايت فأضافت: «لا أقصد أن أقول إنك تبدو مسناً...».

أحسنتِ كايت، إنعتيه بالشذوذ والآن بالهرم وسيسلّمك الصور حتماً!

ردّ ببراءة: «إذاً فكلّ الرجال غير المتزوجين، الذين بلغوا الثلاثينات شاذون حقاً! لا أظن أنكِ تصنّفين الناس هكذا».

ـ لم أقصد هذا!.

أغمضت كايت عينيها وصلّت كي ينجدها الربّ من هذا الموقف، ثم

www.liilas.com
gege86

أخذت نفساً عميقاً ونظرت إلى عينيه: «أنا لا أهتمّ حقاً لعلاقاتك. كنا نتحدّث عن الزيجات المدبرّة... ما الخطب، هل من مشكلة في العروس التي اختارها جدّك؟ أهي فتاة سيئة؟».

لم يخطر في بالها قط أن تتحدث بهذه الطريقة عن إحدى بنات جنسها، وهذا دليل قاطع على تأثير هذا الرجل السيء عليها.

ـ لا. في الواقع، «آريا» فتاة جميلة وكاملة وهي تحبني...

بدا أنه يتقبّل هذا التزلف.

ـ يا لحظّك الجيد!

ـ لكني لا أحبّها.

ـ وهل يهمّك هذا الأمر؟

أيتزوج الرجال أمثاله بدافع الحب؟ تفاجأت كايت لأنه يعرف معنى كلمة حب. ولكن من أنا لأناقش هذا الموضوع؟ فأنا لست بخبيرة في هذا المضمار. واسترجعت ذكريات حياتها العاطفية كلّها فلم يستغرق الأمر إلاّ عشر ثوانٍ. كان «سيب» صديقها الوحيد، وحبيبها الأول، وغالباً ما يخطر لها أنه قد يكون الأخير! وهي لم تندم، فبعد انتهاء علاقتها به لم يُجرح إلاّ كبرياؤها.

لعلّ «سيب» كان محقاً حين قال إن لا جدوى من الإستمرار في علاقة لن تصل إلى أي مكان. واتهمها بأنه يحتلّ دائماً المركز الثاني بعد عملها.

حسناً، لم يمضِ وقت طويل حتى وجد فتاة تضعه في المقام الأول في حياتها؛ وها هما ينتظران الآن ولادة طفلهما الأول.

ـ آريا تعجبني كثيراً، لذا لا أستطيع الزواج بها. ما أحتاج إليه هو امرأة أتزوجها، ثمّ ننفصل بعد فترة.

جمدت كايت، واتسعت عيناها بشكل دراماتيكي فيما حدّقت إليه... لا يعقل أن يقترح...؟ لا بدّ أنّ الضربة التي تلقتها على رأسها قد أحدثت ضرراً ما، لأنه لا يعقل أن يضع أحدهم مثل هذا المخطط.

قالت ساخرة: «لا أظنك ستجد صعوبة في العثور على فتاة توافق على

مثل هذا المشروع لا سيما إذا كان العقد مغرياً!».

في الواقع، فكرّت في عدد النساء المستعدّات للقيام بهذا الأمر مجاناً! فحتى هي استطاعت أن ترى حسنات هذه الخطّة.

ـ جدي رجل ذكي جداً. ولن تستطيع امرأة تسعى وراء الثروة أن تخدعه. أحتاج إلى امرأة مختلفة... من الأفضل أن تكون بريطانية وجميلة... امرأة لا تخاف بسهولة... امرأة تعود في نهاية الأمر إلى حياتها وتترك لي حياتي.

سألت كايت: «لمَ عليها أن تكون بريطانية وجميلة؟».

ـ لأنه يعرف أن المرأة التي وقعت في حبّها تملك هاتين الصفتين.

تمتمت كايت بكلام غير مسموع فسألها خافيار: «أتجدين فكرة وقوعي في الحبّ غريبة ومستحيلة؟».

في الواقع، وجدت فكرة عدم وقوع امرأة ما في حبه غريبة حقاً، فهو جذاب للغاية.

قال ساخراً: «أسنانك جميلة للغاية، لكني لا أعتقد أن فتح فمك بهذه الطريقة يناسبك».

ـ لمَ لا تتزوج من هذه المرأة؟

ـ كنت أنوي هذا، لكني أشكّ في أنها علمت بنواياي. لقد أغرمت برجل آخر، هو صديقي الحميم.

لا يقف هذا الرجل عند حدود اللياقة الاجتماعية ولا بدّ أنه يرفض كلّ أنواع الفشل. حاولت جاهدة أن تتخيل خافيار رجلاً ترفض إحداهنّ الزواج به لكنها عجزت عن ذلك. ذابت عيناها في فمه الجذاب وتساءلت عن السبب، فحتى هي يمكن أن تقبل به بالرغم من أنها لا تحبّ الرجال السُمر.

ـ وهذا يبعدها عن تفكيرك؟

ـ لا علاقة للأمر بالأخلاق؛ إذ لا يمكن للمرء أن يجبر غيره على الوقوع في حبه.

www.rewity.com
gege86

لم تهتمّ لصوته المرتعش، بل أرادت المضيّ قُدماً في هذا الحديث. لسبب ما وجدت ما يقوله باعثاً على اليأس. لعلّها ستتقبّل قدرها بالطريقة نفسها، وبالرغم من أنها تفضّل الرجال ذوي المشاعر التي يمكن التنبؤ بها، إلاّ أنّ حسّها الرومنسي يتوق إلى الرجال الذين يدافعون عن المرأة التي يحبّون حتى الرمق الأخير.

ـ أحاولت؟

برز تعبير غير مقروء على وجهه: «ماذا يجري هنا؟ أأنا في جلسة علاج نفسي؟».

ردّت من دون تفكير: «أرى أنك حاولت ذلك. لكنها لم تستجب لك! آه! أرغب حقاً بالتعرّف إليها».

ـ ستفعلين. لقد وافقت «سارة» على أن تكون الإشبينة في عرسنا غداً.

***

٧ ـ نقطة في المحيط

رمشت كايت مرات عدة قبل أن ترى مجدداً بوضوح: «أعد ما قلته...».

ـ ماذا قلتِ؟ لم أسمع جيّداً.

ـ قلت أعِد ما قلته. لن يفيدك إدّعاء بأنك لم تسمع ما قلته. لا بُدّ أنك جننت لتعتقد أنني سأوافق على الزواج منك كي تستطيع أن ترث متجر العائلة.

سعل خافيار؛ فكرة تسمية امبراطورية شاسعة تساوي الملايين «بمتجر العائلة» تطلّب منه بعض الوقت لتقبلها، وقال: «لن تندمي كثيراً، عليك فقط التوقيع على بعض الأوراق».

بدا جلياً أنه غير متّزن: «آمل ألا يكون لـ«آريا» هذه علاقة بالموضوع، لأنني أعتقد أن زيجات كثيرة في عائلتكم حصلت بين أولاد العمّ، إن فهمت قصدي».

ـ ظننتكِ تريدين استعادة الصور.

ظهر الندم على وجه كايت. لكن ربما هذا هو الحلّ الأنسب... ربّما حان الوقت كي تبدأ سوزي بتحمّل مسؤولية أعمالها.

أطلقت تنهيدة أشارت فيها إلى أنه لا يعرف معنى الكلمات التي ستقولها: «أنا أهتم لأختي، أهتمّ كثيراً لأمرها».

نظر إلى صدغها حيث الكدمة، وردّ: «سيوافق معظم الناس على أنك تهتمين».

darahewity.com
gege86

- لكن الزواج من مبتز مجنون ليس دليلاً على اهتمامي بها.

- سيحبّ جدّي صراحتك.

هزّت كايت رأسها: ما أحتاجه حقاً هو أخذ نفس عميق والابتعاد عن كلّ هذا الجنون. عليّ أن أبتعد حقاً! آه! إنني أرى في هذه القصة جانباً مضحكاً...

- أتسمعني؟

يا لسخافة هذا السؤال! طبعاً لا، فهو لا يصغي إلى أحد. وقالت بقسوة: «لن أتزوج بك! حتى لو أرسلت هذه الصور إلى الجرائد. لكن فكّر قبل أن تقوم بذلك لأنك عندئذٍ ستكون حقيراً تماماً كذلك الرجل النكرة الذي خدع أختي والتقط لها هذه الصور!».

والتقت أعينهما، فرأت في وجهه شيئاً جعلها تمتنع عن التنفّس. فكرّت في أنها قد تمادت وراقبت الغضب يكتسح ملامحه... ثم لاحظت كيف استعاد رباطة جأشه وبقي فمه المزموم دليلاً وحيداً على مدى سخطه.

- تفضلي!!

حدّقت كايت إلى المغلّف الذي وضعه في حضنها وسألت: «أهذه خدعة ما؟».

- لا يهمني أبداً أن أشهّر بعائلة بسبب غلطة اقترفها أحد أفرادها. أمّا في ما يختصّ بغونزاليس، فهو لن يهرب من وجه العدالة.

لو سمعت كايت هذا الحديث من رجل آخر لظنّت أنه يتبجّح، لكن حين يقول خافيار هذا الكلام، فهو لا يتبجّح ولا يكذب بل يسرد الوقائع، ووجدت كايت نفسها تصدّقه.

تناولت كايت المغلّف بأصابع ترتجف وسألته: «أليس هذا ما كنت تنوي التفاوض عليه؟ لا أفهم لما تتخلى عنه بهذه السهولة».

أجاب محاولاً استرداد كرامته التي أهانتها حين شككت برجولته: «أنا مفاوض متمرس لكنني لستُ مجرماً عديم الإحساس».

- إذاً، أنا لا أفهم.

وارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها فيما راحت تنظر إليه من رأسه حتى أخمص قدميه وأردفت: «آه! لعلك تظن أن لكلّ شخص ثمنه...! نعم، أنت تظن هذا».

فتح عينيه فظهرت فيهما ثقة غريبة: «تكمن المسألة في اكتشاف هذا الثمن».

هذه الملاحظة الساخرة جعلت كايت ترتجف. حذفت الفكرة من رأسها، فعيوبها كثيرة إلاّ أن الجشع ليس أحدها. قالت بنبرة شفقة جعلت الإزعاج يظهر جلياً في عينيه: «يجب ألاّ تحكم على الآخرين وِفقاً لمعاييرك الشخصية. أتعلم، أنا لا أريد مالك...».

- ربّما، ليس من أجلك...

قطبت كايت: «ماذا تعني؟».

- كنت أفكّر في إقامة قسم خاص بالحروق في مستشفى الأطفال حيث خضعت للعلاج، وتأمين تسهيلات إقامة لعائلات المرضى الذين يحتاجون لعلاج طويل.

ارتجفت كايت وقد تملّكها الشك. صحيح أن عملية جمع التبرعات التي تقوم بها مع مجموعة من الأشخاص المعنيين أمر هام، لكنّ هذا لم يذكر في الصحف. وإذا لم تتكلّم وهي نائمة، فكيف عساه عرف بهذا المشروع؟

سألت وهي تجاهد لسماع صوتها إذ أنّ أذنيها كانتا تطنّان بقوة: «ماذا تعرف عن هذا الموضوع؟ كيف عرفت...؟ هل أخبرك والداي... أم...؟».

- لم أرَ والديك منذ مساء أمس.

- إذاً كيف عرفت؟

تجنّب سؤالها قائلاً: «الطريقة ليست مهمة».

زمّت كايت شفتيها: «ليس بالنسبة إليّ».

ورفعت يدها لتسند رأسها وحاولت أن تفكّر باتزان.

- الأمر ليس صعباً. يسهل إيجاد المعلومات إذا عرف الشخص أين

www.liewity.com
gege86

يبحث ومن يسأل.

ومن الواضح أنه فعل.

صحّحت كلامه: «يسهل انتهاك خصوصية الناس، أليس كذلك؟».

ظهرت أساليبها الذكية في الإستجواب واضحة حين التقت عيناها بعينيه. ووافق: «شخص في مركزي يعرف تماماً كم يسهل هذا. يتعلّم المرء من حسابه الخاص كيف يحمي نفسه من التدخّلات».

ظهر خبثه جلياً! فقالت متهمة: «يبدو أنك لا تؤمن بالمبدأ القائل: عامل الآخرين كما تحبّ أن تُعامل. ما هي الأسئلة الأخرى التي طرحتها حين كنت تستعلم عن حياتي؟».

ـ أسئلة متعلقة بحياتك فقط.

لو لم يكن خافيار الشخص المعنيّ لظنت أنها رأت احمراراً طفيفاً يعلو وجنتيه ما يعكس انزعاجه: «مثل ماذا؟».

ـ أعلم أنّ ليس لديك حبيباً قد يشكّل عائقاً أمام مخططنا.

ارتجفت ركبتا كايت، وحاولت أن تستند إلى أقرب شيء، فلم تجد أمامها سوى ذراع خافيار التي قدّمت لها الدعم اللازم.

ـ خطتنا...؟ خطتك!

أنكرت كلامه فهي ترفض إقحامها في الخطة الغامضة. حدّقت إلى أصابعها البيضاء المغروزة في القطن الناعم، حدّقت بشدّة بحيث لم تعد ترى أيّ شيء آخر. أحسّت بقوة يده تحت ملمس القطن، وبحرارة جسمه.

وإذا بمشاعر غريبة تجتاح جسمها كلها. كان شعورها قوياً وغير متوقع بحيث خطف أنفاسها. أزاحت كايت يدها كما لو أنها أُحرقت فيما تقلّصت عضلات معدتها بشدة.

كان رأسها محنياً ويداها على فخذيها، فأخذت أنفاساً متقطعة قبل أن تجرؤ على النظر إلى عينيه. شعرت بالانزعاج لأنها منجذبة بهذا الشكل إلى شخص تحتقره تماماً، شخص لا تعني له شيئاً أكثر من وسيلة يتلاعب بها ليحقّق مكسبه المادي.

عندما نظرت إليه بطرف عينها، رأت شعوراً غريباً أشبه بالشفقة بادياً في عينيه. وقرأت في وجهه أنه يفهمها أكثر مما تفهم نفسها ويتقبل ردات فعلها. ولم يكن هذا بالمهمة العسيرة، إذ أن كايت تجهل تماماً الأحاسيس التي تخالجها.

كانت مصرة على أن تبرهن له أنها ليست كالفتيات اللواتي يذبن عندما يرينه، لذا بادلته النظرات. وسألته بتهكّم: «ماذا كنت ستفعل لو كان لي صديق، هل ستدبرّ له حادثاً؟».

وانحدر نظرها إلى قامته الطويلة القوية، وملامحه التي لا ترحم، ففقدت المزحة معناها فجأة، إذ بدا خافيار قادراً على أي شيء.

قال كمن ضجر من كل هذا الكلام: «أنتِ تفكرين بجنون».

أطلقت كايت ابتسامة عدم تصديق وقالت هازئة: «لا، ليس بعد، لكنني أسلك الطريق المؤدي إلى الجنون المطبق. أمّا معلوماتك فخاطئة: لي صديق اسمه «سيب لي»».

ـ لا، فالسيد «لي» هو حبيبك السابق، أليس كذلك يا كايت؟ أظنه الشخص الثاني الذي ربطتك به علاقة جدية.

بدا أنه يحلل الصوت المصدوم الذي خرج من فم كايت إذ صمت لحظة ثمّ تابع: «لكنه الآن خرج من حياتك. لقد انفصلتما منذ نحو عام وهو متزوج الآن من امرأة أخرى. أيزعجك هذا؟».

وقفت كايت جامدة وأحسّت بأنها بلهاء لادعائها إقامة علاقة. وما أثار غضبها أكثر هو أن موقفها هذا جعلها تبدو بحاجة ماسة إلى رجل بجوارها، في حين أن هذا الأمر هو أبعد ما يكون عن الحقيقة.

ـ أتقصد أن مصادرك لم تطلعك على هذا؟ يا للإزعاج!

قال: «لا علاقة لهذا بصفقتنا. كنت فقط أتساءل إذا كنت تشعرين بالندم. بالطبع، تؤجل نساء كثيرات مثيلاتك موضوع الزواج، ويركزن كل اهتمامهن على حياتهن العملية، وليس على بناء أسرة لهن».

ـ أنوي الحصول على الأمرين معاً يوماً ما.

www.rewity.com
gege86

قال مفكّراً: «خلافاً لمعظم نساء الأعمال، يبدو أنكِ احتفظت بالعقلية الساذجة القديمة».

ردّت بعنف: «أين السذاجة في الرغبة بالحصول على الأمرين معاً؟».

تصرف خافيار كما لو أنها لم تتكلم: «الأمر مثير للاهتمام!».

حدّق إليها فترة ليرى ردّ فعلها ثمّ أشاح بنظره بعيداً.

انزعجت كايت من هذا التغيير المفاجىء؛ وتدفّق الدم بقوة في عروقها، وبدأت تنتابها نوبات من الحرّ تارة ومن البرد طوراً. لم تستطع للحظات سوى أن ترتجف وتحدّق إلى أهدابه الرائعة.

وتساءلت عن السبب...

لأنه تنازل وقال إنها ليست مثيرة للاشمئزاز؟ يا للأمر المحزن! ما أن يوجّه إليها الكلام حتى تبدأ بالتفكير بهرموناتها! وآخر ما تريد فعله هو جعل حياة خافيار مونتيرو سهلة.

قرّرت كايت أن تبدأ هي بتوجيه الإهانات أولاً: «لكن، من الواضح أنها ليست نوعك المفضّل...».

حدّقت العينان الزرقاوان إلى وجهها وتسمّرتا هناك. وعانت كايت من ضربة قاسية ثانية تلقتها خلال دقائق.

فهي امرأة عاطفية ما يعني أنها تعجز عن قراءة أي تعابير عندما تتصادم أعينهما. كانت الإثارة مرادفاً له؛ تتجلى في حركاته، ورأسه، وصوته... وارتعشت كايت عندما فكّرت في صوته الخشن المثير.

يبدو أن جسدها لم يكن يصغي أو يأبى أن يصغي إلى تحذيراتها، لأنه ينصاع لأوامر العينين الزرقاوين الخلاّبتين. وفيما ناضلت لتسيطر على تنفّسها أحسّت بعضلات معدتها تتقلّص.

كشف: «أعجز عن الزواج من شخص أجده منفّراً».

فردّت فوراً: «وأنا أيضاً، عادة. ما الذي يضحكك؟».

ـ أنت لا تجيدين الكذب.

قالت: «لا، هذا ليس صحيحاً!».

أنعش المرح عينيه وعضّت كايت على شفتها: «أعني، أنني لا أكذب».

راقبها طويلاً بتلك العين المدققة التي تزعجها كثيراً وقال أخيراً: «إذا كنت تفضّلين ولأسباب خاصة بكِ إنكار وجود تجاذب بيننا، فسأنزل عند رغبتك».

مرّت ثوانٍ قبل أن تفهم كايت كلامه. بدا واضحاً أنها تعاني من مشكلة في السيطرة على أفكارها وفي تحويلها من أفكار شخصية إلى أخرى عمليّة.

قالت مترددة: «نحن نجمع التبرعات، من أجل قضية مهمة، نبحث عن راع...».

قال: تجاذب بيننا. بلعت ريقها بصعوبة فيما راحت تنظر إلى فمه. تباً يا كايت! لماذا أنكرتِ هذا، لما لم تتصرفي كما لو أن هذا الأمر غير هام؟ ربما لأنك عرفتِ أنكِ عاجزة عن ذلك.

طقطق بأصابعه وأجاب: «نقطة في المحيط».

ـ سنحقق أهدافنا. طبعاً عدد من الأولاد المرضى سيكون قد كبر عندئذ، أولئك المحظوظين منهم فقط، طبعاً.

ضحكت كايت: «أقلك أدنى فكرة عن المبلغ الذي نتحدث عنه؟ إنه ليس بالمئات ولا بالآلاف...».

قاطعها بهدوء: «بالملايين... نعم أعرف».

فتحت كايت فمها بتعجب وسألت: «وستدفع كل هذا؟».

لقد رفع هذا الرجل فكرة الابتزاز إلى مستوى جديد. ما يعرضه يعني الكثير لعدد كبير من الناس، للأطفال المصابين وذويهم والفريق الطبي المتخصّص الذي يحاول بإخلاصه وتفانيه التعويض عن النقص في المعدات في قسم الحروق.

ماذا سيكون شعوري إذا رُفض طفل محروق لأنه لم يعد هناك أسرّة، وأنا أعرف أنه كان بإمكاني إحداث تغيير؟

ـ إذا وافقت على الزواج بي، فسأوقع الشيك فوراً وتحددين أنت المبلغ الذي تريدين.

www.rewity.com
gege86

راقبها، ويداه على صدره، فيما ارتسمت المشاعر المتعارضة على وجهها.

عجزت كايت عن الإشاحة بنظرها عن الشيك والقلم اللذين وضعهما على الطاولة. ورطّبت شفتيها الجافتين بفعل الصدمة.

- ألا يعني هذا المال شيئاً لك؟ ألا يعني لك الأولاد الذين ستساعدينهم شيئاً؟ تماماً كما لا أعني لك شيئاً البتة.

واكتفى بأن يهزّ كتفيه. ماذا توقّعتِ منه؟ أن يعلن لك بطريقة دراماتيكية أنه يهتمّ بكِ، وليس بالسيطرة على امبراطورية «مونتيرو»؟ عضت على شفتها المرتجفة وسألت: «ماذا لو وافقت الآن، وصرفت الشيك، ثمّ عدت وتراجعت عن موقفي في اللحظة الأخيرة؟».

ابتسم وأجاب: «أثق بك، فأنت صاحبة مبدأ. امرأة تفضّل راحة الآخرين على مصلحتها الشخصية».

رفعت كايت عينيها مشمئزة: «أنا لست بشهيدة».

ردّ: «لا. لو كنت شهيدة لتزوجتني لتوفري على عائلتك الشعور بالإحراج. لكنك تتزوجينني لتساعدي الآلاف من الأطفال ليحصلوا على عناية أفضل في المستقبل، لأنكِ تكترثين لأمرهم بجنون».

تساءلت: «أأنت واثق تماماً مني؟».

- نعم. يمكننا أن نتناقش لفترة، لكن قرارك محسوم وكلانا يعلم ذلك.

ابتلعت كايت ريقها: «ومهنتي؟».

- لا أطلب منك التخلّي عنها، بل أخذ فرصة قصيرة بما يكفي لنحلّ أمورنا.

- أريد أن نتفق خطياً وأن تسلّم المال إلى الوحدة الخاصة بالحروق فوراً.

أنا مجنونة، مجنونة جداً.

- طبعاً.

- وترفق بالعقد بنداً ينصّ على ألاّ تلمسني.

- لا يمكنكِ أن تضعي قوانين حول العلاقات والمشاعر.

مال يتأمل جسمها، ثمّ سألها: «ألا تكفيكِ كلمتي؟».

أرجعت كايت رأسها إلى الوراء وضحكت محاولة إخفاء ارتباكها من حديثه عن المشاعر وقالت: «هذا أظرف شيء سمعته. أنا لا أصدّق كلامك حتى لو قلت لي إنّ الشمس ستشرق غداً».

ظهر اشمئزاز حقيقي في عينيها وهي تنظر إليه، وأسِف خافيار لحقدها عليه لكنه شعر أنّ هذا ثمن ضئيل يدفعه ليُسعد جدّه. وبالرغم من ذلك كان الأمر مثيراً للشفقة. وخطر له أنهما كانا ليصبحا صديقين في ظروف مختلفة.

تنهدّ وقال: «يقال إن الثقة المتبادلة هي الأساس الضروري لبناء زواج ناجح».

* * *

www.rewity.com
gege86

٨ ـ صفقة بشقّين

كان خافيار جالساً وراء مقود السيارة يربّت عليه وقد نفد صبره حين لاحت الفتاة الجميلة عند أول الطريق، فراح ينظر إليها. ألقت نظرة إلى الوراء من فوق كتفها ثم مشت وعادت وألقت نظرة خاطفة أخرى.

كان شبه متأكد من أنها ستغطي وجهها وترتدي ثياباً غريبة كيلا يتعرّف إليها أحد. لكن فيما راح يراقبها رفعت ذقنها الصغير إلى الأعلى وأخذت نفساً عميقاً، ثمّ أرجعت كتفيها إلى الوراء وتوجّهت إلى السيارة مسرعة بقدر ما سمح لها حذاؤها العالي الكعبين. قرّر خافيار معجباً، بأن كبرياءها لم تمنعها من إظهار مدى ترددها.

حين اقتربت كايت من السيارة اللامعة، أُنزل الزجاج الكهربائي من ناحية السائق، وظهر خافيار واثقاً من نفسه يرتدي بذلة رسمية سوداء ويجلس وراء المقود.

جمدت كايت في مكانها فيما أجال نظره عليها وراح يتأملها من رأسها إلى أخمص قدميها. شعرت أن كل عضلة في جسمها تشتدّ وترتجف وهي تخضع لمراقبته الدقيقة.

وضع مرفقه على حافة النافذة وقال: «اصعدي، لا تقفي عندك!».

احمرّت وجنتاها وقالت محاولة تشتيت انتباهه كيلا يدرك أنها تحدّق إليه كمراهقة مذهولة: «كنت أحاول أن أحزم أمري وأرى إذا كان ما أفعله يصنّف بالزواج «الخطيفة»».

وتابعت بعد أن جلست قربه: «أم أنه يعتبر خطيفة حين يقوم به

العشاق؟».

لاحظ خافيار أنّ الجهد جعل خدّيها يحمرّان؛ وبالرغم من أنها لم تكن تضع عطراً إلاّ أن رائحتها كانت ذكية.

قال: «تأخرتِ!».

صمتت كايت التي أرادت أن تعتذر لتأخّرها فجأة. وأحسّت عندما رمقته بتلك النظرة الباردة أنّ وضع العدسات اللاصقة التي نادراً ما تستعملها يزعجها.

ـ جاءت سوزي لزيارتي؛ واضطررت للانتظار حتى تغادر، ألعلّك كنت تفضّل أن أحضرها معي...؟

أرجعت خصلة من شعرها إلى الوراء وتساءلت ما إذا كان من الأفضل أن ترفعه إلى الأعلى. فقبل أن تلقي سوزي ملاحظتها عن طول عنق كايت، ظنت تلك الأخيرة أن رفع شعرها ليس بفكرة سيئة على الإطلاق. تأثرت كايت كثيراً لزيارة سوزي لها أثناء مرضها لكنها سرعان ما أدركت أن أختها جاءت لتتأكد من أنها أنهت مهمتها وأحضرت الصور قبل أن تمرض. وقد شعرت سوزي بارتياح كبير حين سلمتها كايت مغلف الصور.

حين أيقنت سوزي أن مشكلتها حُلّت، بدأت بمناقشة البند الثاني على جدول أعمالها وهو خافيار مونتيرو ومدى معرفة كايت به. وكان من السهل على كايت أن تقنع أختها بأن صداقتها المزعومة بخافيار مونتيرو هي مجرّد سوء تفاهم كبير.

قالت سوزي معتدّة بنفسها: «أيقنتُ هذا. لا أقصد إهانتك كايتي، لكن من الصعب أن يواعد أمثال خافيار مونتيرو فتاة مثلك».

وظهر في كلام سوزي تلميح إلى أنه قد يواعد فتاة مثلها. فردّت كايت بفخر: «هذا صحيح، ولكنه الخاسر بذلك».

عندئذٍ، ربّتت سوزي على كتف أختها مشجعّة: «هذا صحيح يا كايت، يعجبني موقفك الإيجابي كثيراً. لكن هل يواعد إحداهنّ في الوقت الحالي؟».

www.rewity.com
gege86

أجابت كايت: «هذا ليس بموقف إيجابي! لو عاشرت هذا الرجل مدة أسبوعين لعلّمته بعض التواضع. وعندئذٍ أسدي خدمة كبيرة لنساء العالم».

ـ لكن يا كايت، كان رائعاً حين رأيته.

ـ لو كنتِ ترتدين هذه الملابس فمن الطبيعي أن يتصرّف بشكل رائع.

وانزعجت كايت من فكرة تودّد خافيار إلى أختها الصغرى.

ضحكت سوزي ومرّرت يديها على جسمها النحيف الأسمر، فيما نصحتها كايت بعنف: «إبقي بعيدة عنه يا سوزي!».

حدّقت سوزي إليها مندهشة، فأضافت كايت بعنفوان جعل سوزي تضحك وتتذكّر علاقة سابقة: «سيمرح معكِ قليلاً ثم يرميك؛ إنه أفعى داهية».

وتساءلت كيف ستبرّر تعليقاتها هذه عندما تكتشف أختها أنها تزوّجت تلك الأفعى؛ لكنها سرعان ما أدركت أن هذه المشكلة ثانوية ولا تقع ضمن أولوياتها. فبغضّ النظر عن الطريقة التي تمّت بها الصفقة، لقد اشترى خافيار مونتيرو عروسه، وكايت هي العروس!

وبالرغم من معارضتها في بادىء الأمر فكرة عدم إخبار عائلتها، إلاّ أن حوارها مع سوزي جعلها تعتقد أنّ خافيار محقّ بقوله إنه كلما قلّ عدد الذين يعرفون بأمر الزواج قبل إتمامه، كلّما كان أفضل. إذ يستحيل عليها أن تقنع أي شخص يعرفها بأنها ليست مجبرة على هذا الزواج.

رمقها خافيار بنظرة سريعة: «أكنتِ تفضّلين الحصول على دعم عائلتك في يوم كهذا...؟».

ظهرت ثورة من الغضب في عينيه حين رمقته بنظرة ازدراء، وردّت بعلياء: «لا، أبداً! فالزواج منك حدثٌ لا أريد أن يشهد عليه أحد، إذ يجب أن أحافظ على سمعتي كإنسانة متعقلة أم لعلك عنيت أنّ عليّ إحضار عائلتي، ليهدّئني أحدهم عندما أتألّم كحين أقتلع ضرساً أو ما شابه؟ أو لعلّك...».

صوت تنفّسه غير المنتظم جعلها تتوقف فجأة عن الكلام. وأحسّت بأن

لديه الكثير مما يريد أن يقوله، لكنّه اكتفى بالقول: «أنا مستعدّ لتحمّل تهكّمك إلى حدّ معيّن».

وبالرغم من نبرة صوته العادية، شعرت كايت بأنه يختبىء وراء ستار من الهدوء المصطنع. حين صعدت إلى السيارة شعرت بالتوتر والخوف؛ أمّا الآن فأخذ غضبها يتصاعد. راقبته وهو يفك أحد أزرار سترته ويسوّي مرآة القيادة؛ بدا جلياً لها أنه رجل يهتّم بالتفاصيل الصغيرة... كما أنه رجل لا تعرف عنه شيئاً. لقد حاولت حتى الآن السيطرة على مخاوفها وعدم التفكير في ما سيجري، لكن قريباً، سيتغيّر كلّ شيء وستصبح امرأة متزوجة.

اعتراها ذعر كبير، فاستجمعت قِواها لتهاجمه بعنف: «إذا شئت أن يصدّق الناس أنّ زواجنا حقيقي، فعليكَ أن تبدأ بمخاطبتي كإنسان وليس كجرو غير مطيع...».

وفكّرت وهو يدير رأسه: نعم يا صاح، بإستطاعتي أن أبدأ حديثاً بدون الحصول على إذن.

ظنّت للحظة أنه سينفجر، ثمّ ظهرت على ملامحه نظرة خطرة متأملة. وراقبت كايت تغيّر ملامحه بدقة.

ـ بأي معنى؟

أرجعت كايت رأسها إلى الوراء بسبب جوابه غير المتوقع، واحمرّ وجهها غضباً. بدا من المستحيل أن تخطىء تفسير الومضة التي رأتها في عينيه.

قالت بجفاء: «ليس بهذا المعنى حتماً!».

رأته ينظر إلى ساقيها، فبدأت تشدّ فستانها نحو الأسفل وقد تملّكها الغضب لأنها سمحت له بإفقادها السيطرة على نفسها بسرعة.

حركتها هذه لفتت نظره ولم تنجها من انتقاده، فخطر لها أنّ المرأة التي سيتزوّجها فعلاً ستتعب في حياتها معه.

ـ أنت ترتدين هذا الفستان؟

إذا كان سيتزوّجها فعلاً ففكرة تحديق رجال آخرين إلى ساقيها الجميلتين

www.rewity.com
gege86

حتى وإن كان الثوب الذي ترتديه قد أصبح أقصر بعد أن أحضرته من المصبغة ما جعلها تبكي، لكن لم يكن لديها وقت لتغيّره.

شرحت له وهي تحدّق إليه: «كان لي صديق ذات مرّة، وقد ظنّ أنّ عليّ ارتداء الألوان القاتمة، كما أرادني أن أطوّل شعري وأقصر فساتيني. لم تدم علاقتنا أكثر من خمس دقائق».

وتابعت بنعومة: «أظن أنك عرفت هذا حين قمت بتحرياتك عن حياتي وأصدقائي...».

ـ لم تشغل حياتك العاطفية مساحة كبيرة في الملف، ممّا فاجأني لأنك امرأة حساسة وشغوف.

ترافقت هذه الملاحظة الصريحة مع ابتسامة بطيئة ومثيرة جعلت قلبها يتوقّف عن الخفقان.

ـ دع حياتي العاطفية وشأنها.

ـ لكنك أنتِ من فتح الموضوع.

ـ لم أكن أثير موضوعاً بل أضع بعض القواعد الأساسية.

فأجاب غير مصدّق: «أنتِ تضعين لي بعض القواعد الأساسية؟».

قالت ساخرة: «سواء شئت أم أبيت».

ضاقت عيناه: «أنتِ مصمّمة على جعل الوقت الذي أمضيه برفقتك سيئاً للغاية. أتشعرين دوماً بالحاجة إلى تسلم زمام الأمور عندما تقيمين علاقة مع شخص ما؟».

ـ لا تربطنا علاقة!

سلّم جدلاً: «حسناً، ليس بالمعنى التقليدي للكلمة».

ـ ولا بأيّ معنى آخر.

ـ سنرى بعضنا كثيراً من الآن وصاعداً، وأظن أن حياتنا ستصبح أسهل لو توقفتِ عن المشاحنة وحاولت الإتفاق معي.

ـ هذا طلب صعب.

ـ إذا كنتِ تتصرفين بهذه الطريقة كي أفقد صبري وألغي الزفاف، فلا

تفعلي! بالمناسبة، هل وصلت الأموال إلى المستشفى؟

أفقدها سؤاله توازنها: «نعم».

شعر «دافيد فينير»، مدير المستشفى بالغبطة وراح يردّد مراراً وتكراراً: «لا أعرف كيف أشكرك. أرجوكِ أبلغي الواهب المجهول الهوية شكرنا الجزيل. ما قام به أمر رائع للغاية».

عندئذٍ أيقنت كايت أنها لن تخبره بما جرى حرفياً.

ـ كانوا ممتنين للغاية.

ـ لا أريد امتنانهم.

رأته يتأمل وجهها فرفعت رأسها وأضاف: «أريدك أنتِ».

عرفت كايت أنه لا يقصد ما قاله حرفياً، وبالرغم من ذلك شعرت بالإثارة في أعماقها وبمعدتها تعتصر: «لديّ هذا التأثير على الرجال».

لم تثر ملاحظتها ضحكه كما توقعت بل زادت من حدة التوتر بينهما. وبدأت تثرثر: «لن أسمح لك بأن تُملي عليّ ما يجب أن أرتديه. آسفة لأنني لست بمستوى معاييرك».

جال نظرها على وجهه الرائع وعجزت عن إيجاد ما تنتقده؛ فكلّ ما فيه ينمّ عن ذوق وغنًى. وتابعت بقرف: «بالرغم من أن بعض الناس قد يجدون ملابسك تقليدية... أو قديمة الطراز. لكني أظن أنّ قلة من الناس يظهرون تفرّدهم».

وصرخت فجأة: «آه! يا إلهي! ليتني ارتديت السروال الزهري القصير».

كان هذا التصرّف المتمرّد الطفولي كفيلاً بأن يظهر له أنها لا تناسب الدور الذي يريدها أن تؤدّيه.

أجاب متجهماً: «أنا واثق من أنك ستبدين رائعة فيه».

تمتمت كايت: «لو رأيتني أرتديه لما قلت هذا...».

التفت إليها خافيار وقد ظهرت ومضة مرح في عينيه وقال فيما عاد نظره مجدّداً إلى ساقيها: «أنت صريحة وقاسية قليلاً مع نفسك. أنا لم أقل إنّ

www.rewity.com
gege86

الفستان لم يعجبني...».

أيقنت كايت أنه يحاول تغيير الموضوع. فردّت بطريقة طفولية: «لا أهتمّ أبداً».

- إذاً لما تضخّمين الأمور؟ في الواقع، أنا لا أنوي لعب دور الشرطي. كلّ ما في الأمر هو أنني انزعجت لأنني لم آخذ بعين الاعتبار مسألة عدم امتلاكك ثياباً ملائمة. أنا أعلم أنّ النساء يهتممن بالتفاصيل كلباس العرس وما إلى ذلك...

قالت بمرارة: «أقدّر اهتمامك لكنه ليس ضرورياً. أنت تخلط بيني وبين العروس العادية مجدّداً. فأنا لن أجلس يوماً لأتفحّص صور العرس بعينين دامعتين وأتذكّر كم بدوت رائعاً في بذلة عرسك. يبدو أحدنا مرتّباً على الأقل».

- يبدو أن مظهري يزعجك.

قالت متذمرة: «كلّك تزعجني. إسمع، ما من داعٍ لأن نتصرف كما لو أن هذا الزواج زواج تقليدي».

ارتعبت كايت حين سمعت نبرة صوتها. فهي لم تطمح يوماً إلى زفاف كبير ولم تكن تملك الحق في أن تكون هنا أصلاً.

- أنتِ غاضبة لأنني سلبتك فرصة الوصول إلى المذبح متأبّطة ذراع والدك.

- لا أشعر بالمرارة، أمّا في ما خصّني، فكلّما قلّت الأشياء التي تذكرني بهذا اليوم، كلما كان ذلك أفضل. إذاً، كما ترى، ارتدائي لهذا الفستان ليس فكرة سيئة أبداً.

أوشك خافيار أن يوجّه لها إجابة لاذعة حين رأى دمعة تنهمر إلى خدّها. وعندما لاحظت أنه ينظر إليها، مسحت الدمعة بطرف يدها ورمشت مرات عدة كي تمنع الدموع المتجمّعة في عينيها من الانهمار.

- أعتقد أنّ سارة لديها ما تستطيعين وضعه على رأسك. وسيفي هذا بالغرض.

نظرت كايت إليه عندما ذكر اسم المرأة الأخرى؛ واستحال عليها أن تلاحظ إذا كان يحسّ بشيء ما عندما يذكر اسمها!

- تصرّفتُ بشيء من الجفاء حين وصلتِ لأنني لا أحبّ أن أنتظر...

هذه الملاحظة جعلت كايت تتنبّه ثمّ تابع: «أظنّ أنّ من المفيد أن تعرفي مثل هذه التفاصيل الصغيرة؛ فهي توحي بالحميمية في ما بيننا».

«الحميمية...!» وضحكت، ففكرة الحميمية بينها وبين خافيار جعلت المشاعر المحيّرة تتملّكها ومعدتها تعتصر ألماً.

قالت بشفقة: «إذا ظننت يوماً أنني سأتمكّن من التصرّف بحميمية معك فأنت تتوهّم حقاً».

ردّ، وقد لاحت في صوته نبرة صارمة: «لكنكِ ستحاولين...».

اعترفت بصعوبة: «هذا جزء من الاتفاق».

- لا تنسي هذا...

- إيّاك أن تتجرّأ على تهديدي وإلاّ...

- وإلاّ ماذا...؟

وندم خافيار فوراً لأنه سمح لها بأن تجرّه إلى هذا الحديث.

غضبت كايت، فكلاهما يعرف الجواب وهو أنها عاجزة عن فعل أيّ شيء. اضطربت وأشاحت بوجهها بعيداً، فاقترح عليها بجفاء: «بما أننا نتحدّث عن السلوك الحسن، أظن أن سلوكك يحتاج إلى بعض التعديل».

- ممّا يشكو سلوكي؟

قال بهدوء: «أنت فظة، مشاكسة ومزهوة بنفسك».

- حسناً، هذه من التفاصيل الصغيرة التي عليك أن تعرفها عني. فأنا أتصرّف دائماً بزهوّ حين أُجبر على الزواج من رجل أحتقره، رجل أعرف تماماً أنه لن يدع أي صعوبة تقف في طريق تحقيق مسعاه الرخيص وهو الحصول على المال والسلطة.

صرخ خافيار ساخطاً: «كفى! بحق الله، إياك أن تكلميني بهذه الطريقة!».

www.ewity.com
gege86

ـ حقاً! ظننت أن هذه الطريقة توطّد الحميمية بيننا.

تنهّد: «بحق الله!».

أحسّت كايت بالنّدم حين رأته يُرجع رأسه إلى الوراء، ويغلق عينيه فيما ارتسم الإحباط على وجهه.

تنهّدت حين أدركت أنها بالغت، وقالت في سرّها: سأندم حتماً على هذا. بعدئذٍ، قالت له: «آسفة».

نظر إليها مدهوشاً، فأردفت: «أنا لا أتصرّف بعدل، فأنت لم تجبرني على الزواج بك... لقد اتخذت هذا القرار بنفسي».

عطست فبحثت عن منديل لكنها لم تجد، ثمّ شكرته بصوت هامس حين وضع منديلاً في يدها. وتابعت: «لقد عرضت عليّ صفقة وأنا قبلتُ بها... أراحني حقاً أن ألقي اللوم عليك وألاّ أحمّل نفسي أيّ مسؤولية، ولكن هذا لا يصحّ».

ـ لقد استغليتُ ضعفك.

وظهرت في عينيه نظرة لم تفقه معناها فيما تابع بنعومة: «هذا في حال كان الاكتراث لأمر الآخرين يُعدّ ضعفاً».

ولخّصت بهدوء مضمون العقد: «حصلتَ على ما تريده وحصلتُ أنا في المقابل على شيء آخر أريده».

ثمّ وعدته باسمة: «لقد التزمت بالجزء المتعلّق بك في الإتفاق وسأنفذ الجزء المتعلّق بي حتى النهاية. لكنني ما زلت أظن أنه كان بإمكانك استخدام هذا المال بطريقة أكثر حكمة».

اعتراها الخوف حين تذكرت المبلغ الذي دفعه؛ فبهذا المبلغ كان بإمكانه توظيف ممثلة حائزة على جائزة أوسكار! وتابعت: «لن يصدّق أحد أنك أردت الزواج بي!».

ـ ولمَ؟

ـ لأنني لست عارضة أزياء...

ـ أتعنين عارضة أزياء معيّنة أم...؟

ابتسمت كايت لنبرة التهكّم في صوته وردّت: «أنت تعرف ما أعني».

أجاب وهو يربت بإصبعه على المقود: «أعلم تماماً».

حدّقت كايت إلى فمه القاسي الملامح، وبدا لها أنها تنجح في خلق المشاكل حتى حين تحاول تفاديها.

ـ عليّ أن أقول لكِ مجدّداً إنني لست معجباً بالطريقة التي يقلّل فيها الإنكليز من أهميتهم... كما أنني لا أكترث لشخص يدّعي معرفة ما أجده جذّاباً في النساء.

فاق هذا قدرة كايت على التحمّل، فضحكت غير مصدّقة. خافيار مختلف عن الرجال كلّهم، لكنها أبت أن تصدّق كم يختلف عن الآخرين.

ـ إنه ليس افتراضاً خاطئاً. تسعة وتسعون بالمئة من الرجال يحلمون بنساء كاللواتي أتحدّث عنهنّ، والفرق الوحيد بينك وبينهم...

وسرعان ما تفكّر في أنه وسيم إلى حدّ الكمال وجذّاب بحيث يبدو خارجاً من أحلام الفتيات، ويجمع في شخصه إثارة يحلم أي رجل بأن يتحلّى بها، وتابعت كلامها: «إنك في وضع يسمح لك بالحصول عليهن».

لهثت وهي تنهي كلامها، وزاد قلقها حين راح خافيار يتمعّن في حديثها.

ـ أتقصدين مالي؟

اعترفت: «حسناً، وهذا أيضاً».

كانت كايت واثقة من أن خافيار سيلفت نظر النساء حتى لو كان فقيراً معدماً. وقالت: «الأمر يتعلّق أكثر بـ...».

لكنها توقفت عن الحديث مجدداً، فهي لا تستطيع أن تقول للرجل إنه وسيم.

سألها فجأة حين أصبح خدّاها حمراوين: «ماذا؟».

تنهدت كايت بانهزام ثمّ قالت: «لست شخصاً قبيحاً، ولا تتصرّف كما لو أنك تجهل هذا».

ـ أشعر بالإطراء يا كايت.

www.rewity.com
gege86

لم تستطع تحمل السخرية الظاهرة في عينيه الزرقاوين.

ـ لا، لا هذا غير صحيح...

راقبها خافيار وهي تحاول إنكار ما قالته، وتلعثمت: «أنا أحاول، أحاول حقاً... لكن يصعب إرضاؤك. كنت أحاول فقط... أعلم أنك ثري، لكننا لا نتحدث عن مبلغ زهيد من المال. أخشى فقط ألاّ أستحق المال الذي دفعته».

وصمتت، فقال لها بنغمة يصعب فهم معانيها: «في الواقع. أظنّ أنك تستحقين المال الذي دفعته، ثم دعي مسألة المال لي كي أهتمّ بها، فأنا شخص قادر مادياً. وبالمناسبة، بالرغم من أنني أقدّر مخاوفكِ، إلاّ أنني أفضّل أن توجهي إليّ الانتقادات اللاذعة عوض الجلوس صامتة كلعبة من خشب».

سُرّت كثيراً لأنه أعطاها الضوء الأخضر لتبوح بكلّ ما يخطر في بالها إلى حدّ أنها قرّرت التغاضي عن المقارنة السيئة التي قام بها لتوّه.

قالت مترددة: «ألا تظن أنّ خوفك من فقدان الميراث قد أثّر على حسن حُكمك على الأمور؟».

لعلّها كانت محقة، لعلّ رغبة خافيار في إرضاء جدّه قد أعمت بصيرته عن النواحي السلبية في خطّته. كان يتصرف وفقاً لحدسه وليس لعقله، لكنّ هذا الأمر لم يزعجه كثيراً، فهو يؤمن بقدرة غرائزه.

ـ حتى لو كان هذا الأمر صحيحاً، فأنا لن أعترف به. أليس كذلك؟

ـ ألن تفعل..؟

شرح لها بعد أن غمزها: «أنسيت أنك تتحدّثين إلى رجل إسباني متعجرف؟ نحن لا نخطىء أبداً. إذا تذكرت ذلك في المستقبل، فستتفق جيداً».

بدا الرجل الإسباني جذاباً للغاية حين كشف أنه يخفي وراء مظهره الرجولي حسّ فكاهة.

وردّت هادئة: «شكراً على النصيحة، هل من أمر آخر تودّ إضافته؟».

فقال بجدية: «حسناً، التعامل مع كلامي كله بهذه الطريقة هو تصرّف

حكيم لن يمرّ من دون أن ألحظه. كما أن عليك أن تضحكي على نكاتي».

لم تستطع كايت حبس الضحكة التي صدرت منها.

بدا خافيار رجلاً لا يضطرب بسهولة. وقال متنهداً: «ضحكتك جميلة للغاية».

والتقت أعينهما. توقفت كايت عن الضحك فيما بدت عيناه وكأنهما تبحثان عن شيء ما، مما أحرجها تماماً.

راحت تتصارع مع حزام الأمان، إلاّ أنّ جهودها لم تثمر؛ وبدا أنها فقدت قدرتها على التركيز.

لم تره يطفىء محرك السيارة لكن بدا لها أن هذا ما حدث، فهذه السيارة ليست من السيارات التي تتعطّل.

قالت وهي تعبث بحزام الأمان: «ما الخطب؟ أظن أنّ ثمة خطب في حزام الأمان».

وضع يده على محوّل السرعة وقال عندما استدار نحوها: «أنتِ محقة».

ردّت بجفاء: «هذا جواب لم أتوقّع قط سماعه منك».

قال بغموض: «نحن لا نوحي بأننا شخصان يعرفان بعضيهما جيداً».

أضاءت ملامح كايت. أتراه أدرك أخيراً أن مصير هذه المسرحية هو الفشل؟ وحين أيقنت المغزى الثاني من الحوار، تبخرت التعابير الفرحة عن وجهها. إذا غيّر رأيه بشأن الزواج، فستضطر إلى إعادة المال، وهي لا تستطيع القيام بذلك الآن، فقد بدأوا يخطّطون لكيفية صرفه!

ـ أنت تبتعدين عني كلّما لمستك.

قرّرت كايت ألا تنظر إليه لكن جاذبية عينيه تغلّبت على إرادتها. فقالت بقوة: «السبب في ذلك هو أنني لا أحبّ أن تلمسني. لا أحبّ هذا! لكني أظن أنني أستطيع أن أعتاد على هذا».

لا بأس إن عانقته أو أمسكت بيده؛ فهذا ثمن ضئيل تدفعه مقابل ما قدّمه لها.

ـ هذا كرم بالغ منكِ.

www.rewity.com
gege86

ـ هذا أقلّ ما أستطيع فعله . . .

ـ يقبّل العريس عادة عروسه يا كايت.

فقالت وهي ترتجف: «إذا كنت تفكّر في معانقتي . . .».

تفاجأ خافيار عندما أدرك أنه يتمنى ذلك منذ وقت طويل، منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناه عليها. وها هو الآن يملك حجّة للقيام بذلك.

ـ هناك أمر . . .

قال منهياً كلامها: «تريدين أن تنذريني بشأنه . . ؟».

قطبت كايت لأنه قاطعها ثمّ قالت: «عظيم، لقد نسيتُ الآن ما أردتُ قوله».

فاقترح: «إذاً، لا تقولي شيئاً».

توقف جهاز كايت العصبي عن العمل حين وضع يديه على وجهها وقرّبها منه.

كانت عيناها شبه مغمضتين وهي تدنو منه مترنحة. لم يحمل تصرّفها هذا أيّ رفض، وأيقنت كايت هذه الحقيقة، لكنها لم تستطع القيام بشيء لتصحيح الانطباع الذي تعطيه.

وأحسّت بدوار لأنها اقتربت منه إلى هذا الحد.

حين اشتمت رائحته اشتد الدوار وكاد يغمى عليها من الصدمة تماماً كما حدث لها يوم زفاف «سيب».

سمعت صوتاً في داخلها يردد: «صدمة».

بدأت كايت تقول وهي تستعيد السيطرة على نفسها: «لا . . . !» لكنها أحسّت بأصابعه الناعمة على فكّها فارتجفت. وراقب بعينيه الآسرتين مشاعرها فيما راح يمرّر إبهامه بلطف على خدها الناعم.

حذرها الصوت في داخلها: إذا لم تتحركي الآن سيعانقك، وقد يخال له أنك تريدين هذا. وقد يكون محقاً!

التقت عيونهما وأحسّت كايت بجسمها يذوب. كانت بشرة وجهه السمراء مشدودة، عظمتا خدّيه بارزتين وأنفه شامخاً. شعرت بأنفاسه الندية

كالنسيم على خدّها فأغمضت عينيها وراحت تشتم رائحته الذكية كالمدمنة.

قال بتثاقل: «يمكنك أن تعرف الكثير عن شخصية المرء من عناقه».

لم يبدُ ما قاله علمياً بالنسبة إلى كايت فاحتجت بضراوة: «العناق هو عناق».

لكنه عارضها بثقة: «يستلزم العناق توقيتاً مناسباً أيضاً».

ـ أعرف هذا . . .

توقفت عن الكلام فيما داعب خدّها بنعومة وجمدت من دون حراك.

ـ من المجازفة حقاً أن نتبادل عناقنا الأول علناً وعلى المذبح.

كان محقاً تماماً فقالت: «لم أفكّر في هذا».

ـ يجب أن نفكّر في هذه الأمور.

أحنى رأسه الأسمر فيما تأهبت حواسها بشوق. وعانقها عناقاً في منتهى النعومة، خالٍ من أيّ قوّة أو ضغط.

اعترفت فيما ابتعد عنها قليلاً: «لم يكن هذا سيئاً جداً».

وصلت كيلا تظهر علامات الارتباك على وجهها.

كان لا يزال قريباً جداً منها بحيث تمكّنت من رؤية الهالة الذهبية التي تحيط بعينيه الزرقاوين. وعجزت عن التنفس بسهولة وهي تراقب اتساع بؤبؤ عينيه ليغطي البياض وتتحوّل عيناه إلى شاشة سوداء قاتمة.

وعدها بلهجة مثيرة: «الأمر السيء قليلاً قد يصبح جيداً».

ثمّ عانقها بشدّة وبشغف فأحست بجسمها يتخدّر. عندئذٍ استسلمت كايت لعناقه الحار وأحاطت رقبته بيديها وأحسّت بأنها تطير.

ستحاول لاحقاً إقناع نفسها بأن ما جرى هو ردّ فعل طبيعي لأنها شعرت بالانجذاب نحو هذا الرجل الوسيم الذي لا بدّ أنه استحوذ على اهتمام النساء منذ نعومة أظافره. أمّا الآن، فلم يعد يهمّها سوى الغرق بين أحضان خافيار.

حين توقف عن معانقتها فجأة، كانت أصابعها مغروزة في شعره. ومرّت ثوانٍ قبل أن تتمكّن من فتح عينيها والرؤية بوضوح وشعرت بأنها

www.ewity.com
gege86

صحت لتوها من سُبات عميق.

أنذرها الشعور الدافىء المنبعث من عينيه الزرقاوين بأنها قريبة جداً منه، فشعرت بعضلات معدتها تتقلص وبجسمها يرتعش.

ابتعدت عنه ورمقته بنظرة ثمّ أرجعت رأسها إلى الوراء، وأدركت أنه فعل الشيء نفسه.

وفي اللحظة نفسها تقريباً أدارا رأسيهما. توقّعت كايت أن ترى في عينيه اعتداداً بالنفس أو شعوراً بالنصر، لكنها رأت ارتباكاً.

وتمكّنت من أن تقول بعد جهد: «جلسة تمرين ناجحة، إلاّ أنني أشك في أنك احتجت إليها».

الحقّ يُقال إن خافيار مونتيرو يعانق بطريقة رائعة، وهذا لا يعني أبداً أنه عاشق ممتاز، مع أنه يتمتّع من دون شك بالمؤهلات الضرورية. لكنها لا تريد أبداً اختبار نظريتها هذه.

هبط نظره إلى شفتيها: «ولا أنتِ».

ارتجفت كايت في مقعدها، وراحت تحلّل ما شعرت به. إن ما حصل هو نتيجة حتمية لانغماسها في العمل ونسيانها حياتها العاطفية. كيف عساها تخبره بهذا من دون أن تبدو فتاة تعيسة، محرومة من العاطفة؟

قالت بفصاحة: «أظن أننا سنتجح في تدبّر أمورنا جيداً في الزفاف».

ـ أظننا سنحتاج إلى نسخة معدّلة للمناسبة.

احمرّت وجنتاها خجلاً وقالت: «أظنني سأتمكّن من منع نفسي من تمزيق ملابسك».

وفكّرت وهي تنظر إليه: بالرغم من أن هذا سيكون صعباً عليّ. ثمّ قالت مترددة: «بشأن الزفاف...».

ـ هل أنتِ متوترة؟

قالت: «أيفاجئك هذا؟ لم أتزوّج من قبل ولست معتادة على الخداع مثلك. سأشعر بمزيد من الارتياح... إذا جاز التعبير، إذا لم يكن هناك مفاجآت».

ـ ما من مفاجآت، بل سيحضر كلّ من الكاهن وسارة وزوجها كشاهدين.

ـ صف لي سارة.

احمرّت كايت لأنها تجاسرت وطرحت هذا السؤال وتفاجأت لأنه لم ينتقد فضولها.

ـ إنها طيبة ولطيفة. وهي أقل صلابة منك، على الصعيد العاطفي.

لم تُسَرّ كايت لأنه اتهمها بالصلابة. فصرّت على أسنانها وردّت: «المشاعر الحساسة قد تعيق المرء».

لم يخطر لها أن ما قالته سيؤثّر فيه فهو صامد كالحجر ولا شيء يهزّه.

ـ هل أهنتكِ؟

ـ لا، أبداً. فالأشخاص الأقوياء عاطفياً أمثالنا لا يتأثرون بشيء.

ـ لم أقصد أن أهينك، بل على العكس تماماً. فأنت إنسانة مثقفة ومستقلة، لا تتمتع النساء كلهن بثقتك بنفسك وبمؤهلاتك. سارة امرأة... ضعيفة، لا تملك المؤهلات التي تتمتعين بها لتتماشى والحياة العصرية.

ـ أتعني أنك إذا اتهمتها بأنها على علاقة بتاجر مخدرات وسخ فسوف...

ردّ خافيار بهدوء: «لن أقترف هذا الخطأ أبداً...».

ـ إذاً، سوف أعرفها فوراً، أظن أنها لا تملك الصفات الإجرامية التي تبدو عليّ.

ـ ما من داعٍ للمزاح.

التزمت كايت، التي ظنت أنه يجدر بها أن تمزح، الصمت.

ـ التقيت سارة في مركز إعادة تأهيل حيث كانت أختي تخضع للعلاج بسبب إدمانها على المخدرات؛ كانت هي أيضاً مريضة في المستشفى وتعاني من مشكلة غذائية.

تلاشت نظرة كايت الساخرة وتهكّمها؛ فقلبها رقيق وحساس بالرغم

www.rewity.com
gege86

مما قاله سابقاً: «أكانت أختك...؟».

- مدمنة على المخدرات. نعم، كانت كذلك.

وبالرغم من موقفه الخالي من الأحاسيس، أحست كايت أن مشكلة أخته أثرّت فيه كثيراً. أدركت أنه رجل يحمل على عاتقه مسؤولية حلّ مشاكل أفراد أسرته. وتنهدت كايت، فقصة أخته المحزنة جعلتها تدرك سبب غضبه وسخطه عندما اكتشف أنّ أحدهم يتاجر في المخدرات في الفندق.

- أصبحت هي وسارة صديقتين خلال إقامتهما في المركز. وفي تلك السنة دعتها أختي لزيارتنا على الجزيرة.

- ووقعت في حبها؟

تصلّب: «ذكرت هذا الأمر في السرّ...».

- أتظن أنني سأنشر هذا الخبر؟

- أهنتك مجدّداً.

بدا منزعجاً مما حدث.

- إنسَ الأمر، فنحن الأشخاص الأقوياء عاطفياً لا نكترث لهذه الأمور ولا نتأثر بها. أنت لا تأمل أن تجعل حبيبتك سارة تغار مني، أليس كذلك؟

- إنها ليست حبيبتي.

- حسناً، كما تشاء. وأختك، أهي بخير الآن...؟

نظر خافيار إلى وجهها لكنه لم يرَ نظرة الفضول التي توقّعها بل قلقاً حقيقياً، فأجاب: «شكراً، نعم، إنها بخير. وهي تدرس التاريخ المعاصر في جامعة «اوكسفورد»».

ابتسمت كايت مبتهجة، وأمسكت بيده وشدّت عليها: «هذا أمر حسن كما تعلم. يجب ألاّ تلوم نفسك. هذه الأشياء تحدث. الأمر المهمّ هو أنك وقفت إلى جانب شقيقتك حين احتاجت إليك».

وعندما رأت خافيار ينظر إلى يدها، أفلتت يده وجلست بخجل.

- كيف عرفتِ أنني وقفتُ إلى جانبها؟

وارتسم على وجهه تعبير لم تستطع تفسيره فيما تركّز اهتمامه على وجهها.

- حسناً، افترضت هذا...

وتوقفت عن الكلام ثم تنهدّت. ما عساها تفعل لتتوقف عن الإحمرار كلما واجهت موقفاً محرجاً. وأخبرته بصراحة: «حسناً، إذا كنت مصراً على أن أخبرك، فاعلم أنك بدوت لي كشخص يفعل هذا...».

فاجأها هذا الاعتراف تماماً كما فاجأه، ثمّ تابعت وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيها: «لكني لا أجيد أبداً الحُكم على الأشخاص».

ساد صمت قصير متوتر قبل أن يبتسم، فتغيّرت ملامح وجهه بشكل فريد حقاً.

يا للروعة! فكرّت فيما أدارمحرّك السيارة بأن الضحك من وقت إلى آخر ليس فكرة سيئة.

* * *

www.rewity.com

gege86

٩ـ الغريمة الصديقة

قال خافيار فيما توقف ليسمح لامرأة عجوز ترتدي السواد من رأسها إلى أخمص قدميها بالمرور: «ما من أماكن كثيرة لركن السيارة قرب الكنيسة. لذا سنوقف السيارة هنا ونسير مسافة صغيرة إذا كنت لا تمانعين».

ردت متفاجئة لأنه يستشيرها في تفاصيل صغيرة كهذه: «حسناً».

لم تكن لتوافق لو أدركت أن القرية مبنية في جبل.

في الواقع، رأت أنّ المكان الذي ركن فيه السيارة ضيق للغاية، وقد حبست أنفاسها حين حاول أن يركن السيارة بين منزلين مبنيين من الحجر.

قال خافيار بعد مرور بضع دقائق، وقد توقف مجدداً لينتظر وصولها: «العلها لم تكن فكرة سديدة».

تذمرت: «كان عليك أن تخبرني أنني سأتسلق جبلاً».

ـ حاذري، هناك درجة...

تجاهلت «كايت» اليد التي مدّها لمساعدتها: «كل شيء على ما يرام، أستطيع أن أرى، فأنا أضع عدسات لاصقة. لم أحضر معي نظارات ثانية احتياطية».

ـ عيناكِ جميلتان.

تعثرت «كايت».

ـ لم يعد أمامنا مسافة طويلة.

قررت «كايت» أنه من الأفضل أن تلقي اللوم في تعثّرها على الحذاء لئلا يعتقد أن مديحه جعلها تتعثر وتسقط على وجهها.

تمايلت على رجل واحدة ومدّت الأخرى أمامه: «لو كنت تنتعل هذا، لما قلت ما قلته».

ـ ما الذي دفعك إلى انتعال حذاء غير عملي للزفاف؟

ـ كيف كان لي أن أعرف أن عليّ أن أصعد ميلين في الجبل لأصل إلى الكنيسة؟

كانت تنتعل حذاء عالي الكعبين مرصعاً بحبّة لؤلؤ اصطناعية، لا يتناسب أبداً مع تسلق الجبال، ولا حتى مع المشي في السهول. وقالت متذمرة: «لو علمت لانتعلت حذائي الرياضي».

قال مشيراً إلى حذائها: «ستؤذين نفسكِ. ربما من الأفضل أن أحملك».

لم تكن صغيرة الحجم، لكنها أدركت أنّ ذراعيه القويتين قادرتان على تنفيذ المهمة. انقبضت معدتها عندما فكّرت بهاتين الذراعين القويتين وازداد اضطرابها حين فكّرت في أنه سيحملها، لكنها طردت بحدّة إحساسها بالإثارة قبل أن يتمكن منها.

استعادت «كايت» رباطة جأشها وأخذت نفساً عميقاً ثم قالت: «لدي فكرة أفضل».

ـ ما هي...؟

قالت وهي تخلع حذاءها: «هذه...».

لطالما أدركت أنه طويل القامة، ولكنها حين خلعت حذاءها بدت قصيرة جداً قربه.

نظر إلى قدميها الحافيتين الموسختين بالتراب، ثم قال:

ـ لا تستطعين السير حافية القدمين إلى عرسك.

ـ لم لا؟

ـ لأنه تصرّف غير لائق.

www.rewity.com
gege86

ضحكت «كايت»: «فات الأوان بالنسبة إلى رجل اشترى عروسه، ليقلق بشأن الأمور اللائقة وغير اللائقة».

ارتفع حاجباه السوداوان بعدم موافقة وأنكر بقوة: «أنا لم أشترِكِ».

ـ لا، لقد استأجرتني لمدة قصيرة فحسب، لكني احتفظت بصكّ الملكية.

ـ لا شك أنك ستحددين ثمناً غالياً.

أشاحت بنظرها بعيداً: «لا، في الواقع سأمنحه مجاناً للرجل المناسب».

أحرجها هذا الحديث الغريب قليلاً، فانحنت بسرعة وأمسكت حذاءها بيدها وركضت أمامه، ثمّ قالت له وهي تلوّح بيديها: «لا تكن مزعجاً هكذا. هيّا! هيّا! عِش حياتك قليلاً».

ارتسمت ابتسامة كسولة على شفتيه وهو يشاهد تصرّفاتها الغريبة. وحين التقت أعينهما، تلاشت الابتسامة لتترك مكانها تعبيراً غريباً جعل «كايت» ترتجف. من يدري كم من الوقت بقيا هكذا يتبادلان النظرات بصمت، إلاّ أنه دام حتى مرّ بينهما صبي يركب دراجة كبيرة، حيث اضطر خافيار إلى إبعاد «كايت» بسرعة ليتجنب اصطدام الولد بها.

صرخ على الولد بالإسبانية، ثم سألها باهتمام: «هل أنت بخير؟».

نظرت «كايت» إلى عينيه القلقتين وأومأت حين أحسّت بيديه تلامسان كتفيها.

قالت بفزع: «أنا بخير، لكن التراب يغطي بذلتك الجميلة».

نظر خافيار إلى ثيابه وقال وهو ينفض الغبار عن كميّ سترته: «لا بأس».

قالت «كايت»: «قف جامداً».

وراحت تتأمل الأضرار ثمّ أعلنت: «نستطيع إزالة الغبار».

ـ لا تتعبي نفسك...

وتوقف عن الكلام عندما بدأت «كايت» تنفض الغبار عن بذلته.

وقف خافيار جامداً وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة فضول، وسألها:

«بذلة جميلة؟ ظننت أن ثيابي قديمة الطراز».

ثم رفع أحد حاجبيه: «هل ردّدت كلامك بشكل صحيح؟».

توقفت «كايت» وابتسمت ثمّ اعترفت: «جيد جداً! أتعلم، من المتعب حقاً البقاء برفقة رجل يبدو دائماً في منتهى الروعة».

دُهش خافيار من كلامها هذا ثمّ نظر إلى نفسه: «حسناً، أنا لا أبدو كاملاً الآن، لا بدّ أنني لم أعد أتعبك كما في السابق».

عضّت «كايت» شفتها كما لو كانت تفكّر في المسألة: «ما زالت هيئة المحلفين تدرس هذه القضية».

قد يكون الإعجاب به تعقيداً هي بغنى عنه.

ونظر خافيار مجدّداً إلى أصابع قدميها التي وضعت عليها طلاء أظافر زهري اللون وأومأ: «سيري حافية القدمين إذا شئتِ لكن لا تتوقعي مني أن أخلع حذائي».

ردّت «كايت»: «لا تقلق، فخلع الحذاء أمر تتعلّمه في الصفوف العليا. أما الآن، فعليك أن تُرخي ربطة عنقك قليلاً».

سألها خافيار وهو يلمس ربطة عنقه الحريرية الرمادية: «هل يمكنك أن تقولي لي كم عليّ إرخاؤها؟».

هزت «كايت» رأسها وتراجعت: «هذا مستحيل!».

لو اقتربت منه مجدداً، فهي لن تستطيع منع نفسها من معانقته.

رضي خافيار برفضها بصمت فهو لم ينقصه يوماً المرشحات اللواتي يرغبن في إرخاء ربطة عنقه.

مشيا بصمت وتمكّنا بعد فترة قصيرة من الوصول إلى قمة التلة حيث لاحت أمامها كنيسة صغيرة.

قالت: «يا للروعة!».

سُرّ خافيار لأن الكنيسة أعجبتها: «نعم، أليس كذلك؟ إنها قديمة جداً. تزوج جدّي وجدّتي هنا. تعرفا إلى بعضهما البعض في مدريد، كان والدها دبلوماسي وكانت مخطوبة لمستشار. حصلت فضيحة كبرى عندما

www.liilas.com
gege86

هربا».

ـ وانتهى بها الأمر هنا؟

ما من سبب معين يجعلها تشعر بالسوء بعد سماع هذه القصة، لكن هذا ما جرى. لم تشأ «كايت» أن تتزوج كنسياً لكن خافيار أصرّ لأن جدّه يعتقد أن الزواج المدني تافه ولا يستحق الورق الذي يكتب عليه العقد.

ـ لهذا السبب أحضرتني إلى هنا، لكي تثير إعجابه. . . ؟

ـ جدّي رجل لا يتأثر بسهولة. ظننت فقط أن هذا المكان جميل وقليل الازدحام لذا قرّرت أن نتزوج هنا. أما الآن، وبعد أن ذكرتِ هذا، فأنت محقة! سيسرّ جدّي لأنني أسير على خطاه.

واستخلصت بجفاء: «إذاً لقد اخترت هذا المكان كيلا يرانا أحد تعرفه ويبدأ بطرح أسئلة غريبة».

ما فعله أمر منطقي للغاية في ظل الظروف الراهنة، فلِمَا أنت منزعجة هكذا؟

تفاجأت «كايت» حين أمسك خافيار بيديها، وأنّت حين ضغط على أصابعها فأفلتها فوراً.

ـ هل آلمتك؟

لم تدرك «كايت» عما يتحدّث إلى أن رأته ينظر إلى أصابعها فقالت وهي تفرك يديها: «سأحيا».

أجابها مغتاظاً: «أنا لا أهرب وأختبىء. إذا سألني أحدهم سؤالاً لا أريد أن أجيب عنه فلا أفعل هذا بكل بساطة».

ـ فهمت! إذا تطاير الرصاص فوق رأسك، فأنت لا تهين كرامتك وتحني رأسك مع الآخرين.

ـ أظن أنك ستكتشفين أنني قادر على الحفاظ على نفسي.

ـ لكنك لا تتحلّ بالمنطق السليم، فأنت عنيد جداً.

ـ إذا انتهيت من نعتي بصفات شتى، فتعالي واجلسي هنا.

لم تستطع «كايت» أن تتأقلم جيداً مع رغبته في تسلم زمام الأمور، أما

النظر إلى يديه السمراوين وهما تمسكان بيديها الشاحبتين فأمر مختلف تماماً. «فكايت» لم تعتد مواجهة مثل هذه الأحاسيس، صحيح أن ما يفعله بسيط للغاية إلا أنها تنهار أشلاءً أمام لمسته.

لم تقاوم حين قادها بنعومة إلى جانب الطريق حيث اقترح عليها أن تجلس على صخرة ملساء كبيرة، وقد زاد في حدّة مشاعرها رغبتها في أن تداعب يده خدّها.

وقالت وهي تشير إلى باقة من الأزهار الجميلة موضوعة قرب تمثال للعذراء مريم: «انظر، وضع أحدهم أزهاراً».

راقبت خافيار وهو يتوجه نحو التمثال بانتباه كيلا يدوس على الأزهار ثم انحنى قرب نبع صغير من الماء. راحت تراقب مدهوشة عضلات ظهره، حيث كل جزء فيه يحرّك مشاعرها ويطلق العنان لمخيّلتها.

قال هو يغرف الماء بيديه: «يقال إن لهذا النبع قدرات سحرية».

سألت فيما كان يتجه نحوها ضاماً يديه اللتين تتساقط منهما قطرات ماء أشبه بالجواهر: «أي نوع من القدرات السحرية؟».

ركع خافيار أمامها. وحين أدركت أخيراً ما ينوي فعله، أرجعت «كايت» قدميها إلى الوراء واعترضت: «لا تستطيع. . . ».

ـ لن أتزوج امرأة قدماها متسختان.

ـ لم أكن أعرف أنّ أفراد آل مونتيرو يقومون بأعمال وضيعة.

لم تتضايق من نوع العمل الوضيع الذي يقوم به بل من الحميمية.

ـ لا تستفزيني يا «كايت»! أعطني فقط قدميك.

كانت نبرة صوته ساخطة لا تعكس أي نوع من التحبّب، لذا كان من المفترض أن تشعر بتحسّن. . . من المفترض!

مدّت رجلها مرغمة.

تأمّل خافيار مطوّلاً قدمها وكاحلها النحيل حتى تنحنحت أخيراً بصوت عال.

وعندما رفع رأسه رداً على الصوت، قرأت على وجهه تعبيراً غريباً.

www.rewity.com
gege86

كان الماء الذي وضعه بمهل على قدميها الساختين المغبرّتين بارداً جداً، فارتعشت.

ابتسم وقال: «نسيت أن أنذرك بأن الماء بارد».

لم تكن العينان اللتان تنظران إليها باردتين بل حارتين، فأشاحت بنظرها بسرعة لتتجنّب الأحاسيس الجياشة التي يثيرها فيها.

تمتمت وهي تفرك يديها لتمنعهما من الارتعاش: «تقول لي هذا الآن».

جلست هناك دون حراك وهو يغسل القدم الأخرى، وبدا لها أن ما يفعله يستغرق دهراً. لو قال لها أحدهم إنّ الماء البارد على قدم فتاة تجربة مثيرة لاتهمته بالجنون التام.

سألته آملة أن تلهي نفسها عن الأحاسيس التي تعتريها فيما هو يغسل قدمها: «ما هي القدرات السحرية التي كنت تتحدّث عنها؟».

هزّ خافيار يديه ووقف على قدميه والسخرية بادية في عينيه: «الخصوبة».

ـ آه!

وظهر المرح على وجهه حين احمرّت خجلاً.

شرح لها: «إذا أرادت امرأة أن تنجب أولاداً، تشرب من هذا النبع وتنجب صبياً».

نظرت «كايت» إلى نبع الماء وضحكت: «ألا يزال الناس يعتقدون بهذه الأمور؟».

لم يبادلها خافيار الابتسام.

ـ حسناً! بما أن أحدهم وضع أزهاراً فلا بُدّ أنه يؤمن.. ألا تؤمنين أنتِ؟

رمقته «كايت» بنظرة غيّرت ملامحه: «لكنك لا تؤمن بهذا، أليس كذلك؟».

وهزّت رأسها غير مصدّقة أن رجلاً مثله لا يزال يؤمن بالخرافات.

تشدق: «أنا لا أؤمن بالخرافات، لكنني أحترم معتقدات الآخرين،

وأظن أننا نخاطر بخسارة الكثير من القيم عندما ندير ظهورنا لأجدادنا وجذورنا».

دهشت «كايت» فهي لم تعتقد يوماً أنها ستسمع خافيار يدافع عن هذه المعتقدات.

ردّت: «شخصياً. أنا أكثر من سعيدة بترك الخوف والخرافات والأساطير ورائي».

تحدّاها: «هل أنت واثقة من أنك لا تخافين من الأمور التي تعجزين عن تفسيرها ونحن في القرن الواحد والعشرين؟».

أنكرت: «هذا هراء فأنا لا أريد أبداً أن أعود إلى العصور القديمة حيث كان يتم إحراق الساحرات».

ـ لعل لديك مصالح خاصة.

سألت «كايت» وقد شعرت بالإهانة: «أتدعوني ساحرة؟».

وقف صامتاً لبرهة يحدّق إلى قدميها الحافيتين وشعرها المشعث ووجهها الأحمر ثم ردّ ساخراً: «أعجز عن إيجاد تفسير منطقي آخر».

ثم قال لها بحدّة قبل أن يتسنى لها أن ترد عليه: «انتعلي حذاءك فلن يبدأ العرس من دوننا».

تقلصت عضلات معدة «كايت» حين ذكّرها بالعرس وقالت وهي تحدّق محتارة إلى يده الممدودة: «أنت رجل متسلط للغاية».

ولمعت نظرة رضى في عينيّ خافيار حين وضعت كايت يدها في يده بحذر كما لو أنها طفلة تجرّأت على الدخول إلى منطقة محظورة.

كلّ ما أراده خافيار من هذا الاتفاق هو تعاونها أمّا الآن فإن نيل ثقتها أصبح شغله الشاغل، كما بات يحلم بالحصول عليها.

اضطر إلى أن يذكّر نفسه باستمرار بأن الحصول عليها سيولّد الكثير من التعقيدات إلاّ أنّ جسده أبى الاستماع إلى تحذيراته.

أكدّ لها وهو يساعدها على الوقوف: «أتحلّى بصفات أخرى تعوّض عن تسلطي».

www.rewity.com
gege86

نفضت «كايت» الغبار عن فستانها ورمقته بنظرة من تحت رموشها: «أراهن أن امرأة قالت لك هذا».

ـ في الواقع أكثر من امرأة.

قالت بعلياء: «متكبّر، مغرور، متسلط تؤمن بالخرافات».

اكتفى خافيار بأن يقول: «كل شخص منّا يؤمن بالخرافات إلى حدّ معين، بدءاً من لاعب كرة السلة الذي يتفاءل بجواربه وصولاً إلى المصرفي الذي يرشّ الملح على كتفيه».

ـ باستثنائي.

ـ هل أنتِ متأكدة من هذا؟

ردّت وهي ترفع ذقنها إلى الأعلى: «تماماً».

تحدّاها بنعومة: «برهني ذلك».

هزّت «كايت» رأسها وضحكت بصعوبة: «ماذا؟... ما من طريقة لإثبات ذلك».

ـ بلى. إشربي من النبع.

ـ لستُ عطشانة.

رفع حاجبه وتشدّق: «كما سبق وقلت، كلّ شخص منّا يؤمن بالخرافات».

صرّت «كايت» على أسنانها عاجزة عن تقبّل خسارتها، وتمتمت وهي تشقّ طريقها نحو الأرض الوعرة: «إذا كانت المياه ملوّثة فسألقي اللوم عليك».

وضعت يديها تحت الماء الجاري ونظرت نحوه بحدّة ثم شربت. كان الماء طيباً وبارداً.

تحدّته وهي تزيل الماء عن ذقنها بيدها: «حسناً...؟»

نظر إليها متأملاً وحين تحدّث كان صوته خشناً جذاباً: «حسناً، أنا متأثر».

وبالرغم من أنها ربحت الرهان إلاّ أنها شعرت بأنها فعلت تماماً ما يريده

منها.

كانا على بعد خطوات من الكنيسة التي وجدتها «كايت» أكثر روعة عن قرب حين لاح أمامهما مقعد حجري مخفي بين أشجار الليمون.

جلس رجل وامرأة على المقعد يتهامسان وبدا واضحاً أنهما مغرمان، فأحست «كايت» بالحسد فجأة.

استدار الثنائي حين صرخت «كايت» بعد أن علق كعب حذائها بين حجرين.

فجأة وقفت المرأة وقد ارتسمت على وجهها علامات فرح غير مكتملة، وقام أيضاً الرجل الذي يجلس بجوارها حاملاً طفلاً شعره داكن اللون.

صرخت المرأة وهي تهرع إليه: «خافيار! وصلت... أخيراً! هذا الأمر مثير للغاية، لا أصدق حقاً! زواج...!».

شعرت «كايت» بتوتر خافيار وأحست أنه عاجز عن التنفس بسهولة ومن دون أن تفكرّ أمسكت بيده وشدّت عليها.

التفت خافيار إليها فجأة وراح يحدّق إلى عيني «كايت» المضطربتين اللتين تحاولان التظاهر بالهدوء وإلى يدها الممسكة بيده، فما لبثت أن غابت النظرة القلقة عن عينيه وابتسم.

لم يبتسم لها ابتسامة عادية، فحبست «كايت» أنفاسها إذ أنبأتها أحاسيسها كلها بأن هذه اللحظة ستكون مميزة. ستحتفظ دوماً بذكرى خاصة في قلبها لمنظر شجر الليمون ورائحة الياسمين. ساورها إحساس غريب فيما داعبتها نعومة عينيه الدافئتين قبل أن يلتفت إلى المرأة الأخرى. لم يظهر عليه أي تأثر فيما أجاب على تحيتها.

ـ سارة!

دهشت «كايت» حين رأت أنّ المرأة التي أسرت قلب خافيار ليست عارضة أزياء كما توقعت، بل امرأة ضعيفة، عيناها الزرقاوان واسعتان، وأنفها صغير وابتسامتها رائعة. كانت ناعمة جداً، تثير في الرجل الرغبة في

www.rewity.com
gege86

حمايتها، تماماً كما حصل مع خافيار. وشعرت «كايت» التي لم تحتج يوماً إلى حماية رجل، بالغيرة.

قال خافيار مُعرّفاً: «هذه كايت».

ـ كايت هذه سارة، وتعرفين «سيرج» طبعاً. أما الصغير فهو «راوول».

وأضاف وهو يمدّ يده ليداعب رأس الطفل النائم: «يا إلهي! كم كبر منذ رأيته آخر مرة!».

فاستدارت أم الطفل تعاتبه: «السبب في هذا هو أنك لا تأتي لزيارتنا باستمرار».

والتفتت إلى «كايت» ثم تابعت حديثها: «لعلّك الآن ستتمكنين من إقناعه بزيارتنا من وقت إلى آخر».

ـ سأبذل جهدي.

حسناً! لا يمكنها أن تخبر هذه المرأة أن تأثيرها على خافيار شبه معدوم، إذ يبدو أنها تخال نفسها آتية لحضور زفاف حقيقي.

ـ آنسة أندرسون...

وأومأ الرجل الأسمر الذي شهد على أسوأ لحظات إحراج في حياتها بحييها.

شعرت «كايت» بالإحراج. حسناً، هذا رجل لا يعتقد ولن يعتقد أبداً أن هذا الزواج حقيقي.

صحّحت له بتهذيب: «كايت! وتسرّني رؤيتك مجدّداً. يا لها من مفاجأة!».

قصدت بقولها هذا أن توبّخ خافيار الذي وعدها بألا يخفي أيّ مفاجآت، لكن هذا الأخير بدا غير مكترث فقد كانت سارة تتحدّث إليه.

أحست «كايت» بشعور غريب. إنها الغيرة!

كانت ابتسامتها مشرقة وهي تنظر إلى سيرج الذي شعرت بأنه يريد أن ينعتها بالكاذبة، فهي لم تسرّ أبداً بلقائه مجدّداً.

أو لعلّها بدأت تصاب بعقدة الاضطهاد؟

راقبت «كايت» سيرج وهو يسوّي قبة طفله الذي ينام مطمئن البال في أحضان والده، وتنهدت. فرؤية طفل في أحضان والده هو أروع مشهد بالنسبة إليها.

ألم يكن بإمكان خافيار أن يخبرها عن هوية الإشبين؟

كانت مستعدة لتحمل الإحراج الناجم عن زواجها، ولكن ها هي الآن تدخل في إطار قصة اغريقية قديمة.

كان خافيار يحبّ زوجة سيرج. لكن أيعلم سيرج بهذا؟ أتعلم سارة بهذا؟.. أتراها تلاطف خافيار بنية سيئة؟

إنه حب ثلاثي الأطراف!

استرجعت «كايت» ذكرى لقائها بالرجلين: كانا يعملان كفريق، ولم تشعر بأيّ نوع من التوتر أو العدائية بينهما. لكن هذا لا يعني بالضرورة أنهما لا يتبادلان العداء بل لعلها لم تلاحظ ذلك فحسب.

يا له من طفل جميل!

أثبتت لها خبرتها أنّ إبداء الإعجاب بالطفل يرضي الأهل دائماً، لكن ملاحظتها كانت صادقة في هذه الحالة، فالطفل النائم رائع الجمال حقاً.

سمعت سارة توبخ خافيار: «ألم يعد يحقّ لي بعناق، يا رجل...؟».

رأتهما بطرف عينيها يتبادلان عناقاً حاراً، فنظرت بقلق إلى سيرج ورأته ينظر إليهما بدوره من دون أدنى إزعاج بل بتسامح تام.

لم يكن التسامح هو الشعور الذي اختبرته «كايت» حين رأتهما يتعانقان، فهي تحب العفوية لكن ما يجري هنا يفوق كلّ قدرة على الاحتمال.

وبما أنها شخص ضعيف، تمكنت سارة من التشبّث بعنق خافيار وزرع قبلة على خده. إن كانت سارة على علم بمشاعر خافيار نحوها فهي تتصرف بوقاحة وعدم مبالاة. أشاحت «كايت» نظرها عندما أنزل خافيار سارة إلى الأرض وقد اعتراه القلق من رأي الآخرين بهما.

www.rewity.com
gege86

لمحت «كايت» الدموع في عيني سارة، وصعب عليها أن تنفر منها.

ـ قطفت لك هذه الأزهار من حديقتنا... آمل ألا تمانعي؟

وقدّمت لها باقة من الأزهار الملوّنة المربوطة بعقدة زرقاء.

ـ شكراً لكِ.

شعرت «كايت» بالندم لأنها ألصقت بتلك المرأة صفات سيئة، فهي طيبة القلب ولطيفة للغاية. لم تخل «كايت» للحظة أنّ امرأة بهذه الصفات ستعجب خافيار، ولكن الرجال مخلوقات لا يمكن التنبوّء بتصرّفاتهم أو بآرائهم.

ـ سررنا كثيراً لأن خافيار وجد امرأة تسعده.

أحست «كايت» بالانزعاج حين قدّم سيرج لزوجته منديلاً لتمسح به دموعها.

ـ إنه ألطف رجل في العالم. لكن لما عساي أخبركِ؟ فأنتِ تعرفين هذا حق المعرفة.

ـ لا أعرف شيئاً.

لم يتجاوب خافيار كما توقعت حين رمقته بنظرة تعجب، بل تشدّق قائلاً: «تظن «كايت» أنني متسلط ومتعجرف، أليس كذلك يا حبّي؟».

شكراً خافيار! ورمقته بنظرة حادة ثم راحت تحدّق إلى وجهه الوسيم وحدّثت نفسها: خلتك لا تريدني أن أتدخل. لكن الوضع تغيّر الآن، أتريدني أن أدخل في اللعبة؟ حسناً...

قالت «كايت» لسارة: «أنتِ تعرفينه قبلي، يتباهى دوماً بنفسه لأنه رجل سلطة!».

ما أن استوعبت سارة أنّ أحدهم يتحدث إلى خافيار بهذه الجرأة حتى أطلقت ضحكة خافتة. وقالت له: «فضحت كايت أمرك يا خافيار».

لمعت عيناه وقال ساخراً: «أنت تخيفينني الآن».

قالت في سرّها: لا أنا لا أفعل، بل أخيف نفسي! وحاولت أن تتخلّص من نظراته الآسرة...

لا يحق لها أن تتساءل عما كان ليحصل لو أنّ هذا الزواج حقيقي، لو كانت هي حبيبة خافيار الغالية على قلبه. لكن أن يغرم خافيار بامرأة هو حتماً كابوس فظيع.

لن يقبل أن يرتبط بامرأة مستقلة لها مهنتها وكيانها الخاص.

هنّأت نفسها على قلبها الذي لا يمكن اختراقه وشعرت بالاضطراب.

قالت لها سارة محاولة التودّد إليها وإبعادها عن الرجلين: «والآن يا «كايت» أخبريني كلّ شيء».

وتابعت بعد أن رمقت سيرج بنظرة حادة: «لم يخبرني سيرج أيّ شيء. إذاً، أخبريني منذ متى تعرّفتما إلى بعضكما البعض؟».

ـ منذ مدة قصيرة.

جواب «كايت» الغامض أثار فضول سارة فضاقت عيناها بنعومة، وتنهدت: «الوقت ليس عاملاً مهماً حين تلتقين الشخص المناسب. أين ستقيمان؟ لا تقلقي بشأن اللغة يا «كايت»... لم أكن أجيد الإسبانية حين أتيت إلى هنا وها أنا الآن أجيدها بطلاقة. أليس كذلك يا سيرج؟».

وافقها الرأي: «أنت تجيدينها تماماً يا حبيبتي. أكره حقاً أن أقاطعكما لكنّ الكاهن ينتظر».

ـ حسناً، سأكتفي بتلميح.

دهشت «كايت» حين سمعت خافيار يتكلم: «شرط أن يكون مُسهباً».

واعترفت سارة: «أنت مضحك جداً... إذاً، أنا أثرثر كثيراً. حسناً دعها على الأقل تفتح العلبة. لا إنها لكِ وليست له».

وأصرّت سارة مبتسمة: «افتحيها الآن!».

ابتسمت «كايت» وأعطت باقتها العطرة إلى خافيار. ولو لم تكن تجيد السيطرة على نفسها لأغمي عليها من الضحك وهي ترى خافيار يحدّق إلى الأزهار كما لو أنها ستعضّه.

ـ لا أستطيع أن أقبل هذا!

جاء رد فعلها هذا حين رأت طرحة من الدانتيل، فريدة من نوعها

gege86

وقديمة. هزّت رأسها وأبعدت العلبة من يدها وسلّمتها إلى سارة.

نظرت سارة إلى خافيار: «إنها ليست لي، لقد سمح لي خافيار بوضعها يوم عرسي. إنها لوالدته لذا عليكِ أن تضعيها يا كايت».

ـ أنا...

كيف عساها تشرح لامرأة رومنسية تخال نفسها تشهد على حبّ متبادل حقيقي، أنها آخر شخص يريد خافيار أن يراه واضعاً طرحة عرس تعود لعائلته؟

أنهى خافيار الجدال، فتناول الطرحة من يديها، وأدار رأسها ليضعها على شعرها الأشقر اللماع.

قالت سارة: «تبدو رائعة جداً».

وصفقت بيديها بحماس ثمّ توقّفت فجأة حين أدركت أن الطفل نائم وخشيت أن تكون قد أيقظته. فنظرت إليه لتجده غارقاً في سبات عميق.

وافق خافيار بنعومة وهو يعيد إليها باقة الأزهار: «بالفعل، إنها جميلة للغاية».

رفعت «كايت» عينيها ونظرت مباشرة إلى عينيه، وكانت هذه غلطة كبيرة! أحسّت بمعدتها تعتصر فأشاحت بنظرها بعيداً وعاد تنفّسها طبيعياً.

قالت في نفسها: النجدة! لا أستطيع القيام بهذا! وتوترت أعصابها حين رأت باب الكنيسة يفتح.

وخلافاً لما توقّعت، سيطر الهدوء عليها حين دخلت الكنيسة الصغيرة. هل السبب في ذلك هو جوّ الطمأنينة والسلام؟ أم تراها قبلت بمصيرها؟ لكن وبغض النظر عن الأسباب، أجابت «كايت» عن الأسئلة المطروحة عليها بوضوح وهدوء. ولم تنتبه كثيراً لما يحيط بها بل ركزّت انتباهها على الكاهن وعلى الرجل الواقف بجوارها. كان خافيار، ويا للغرابة، متوتراً جداً، ربما خشية أن تعدل عن قرارها في اللحظة الأخيرة.

توقعت أن تشعر بأنها تشارك في مسرحية لأهمّ محطة في حياة المرأة، لكن حين رفع خافيار الطرحة عن وجهها وعانقها بدا من الطبيعي جداً أن تعانقه

بدورها.

بعد انتهاء مراسم الزواج، خرجا من الكنيسة. كانت «كايت» تتأبط ذراع زوجها... زوجها! يا للغرابة! وأحسّت برأسها يدور.

لم تكن قادرة على التركيز، وقاطعت سارة أفكارها معتذرة: «أرجو المعذرة، على إطعام «راوول». أتمانعون إن انفردت به قليلاً؟».

نظر إليها زوجها قلقاً وسألها: «أتستطيعين تدبر الأمر بمفردك يا عزيزتي؟».

ـ يمكنك القيام بأمور عديدة ولكن أشك في قدرتك على إرضاع الطفل.

كانت رؤية «سيرج» يحمرّ خجلاً ستسرّ «كايت» لو جاءت في وقت آخر، إذ أن جهودها انصبّت الآن على الحفاظ على توازنها وعدم الانهيار، فقد أخذ منها الإرهاق الجسدي والنفسي الذي عانته في اليومين الماضيين كل مأخذ.

قالت متعبة: «أعتقد أنني أحتاج للجلوس».

نظر خافيار إليها فوجدها شاحبة وعلى وشك أن تقع فحملها بين ذراعيها كطفلة صغيرة.

صرخ فيما أغمي على «كايت» بين ذراعيه: «يا إلهي!».

كان خافيار معروفاً بقدرته على السيطرة على الأمور في أوقات المحن، لكنه وقف الآن جامداً لا يدري ما العمل. فهل إغماؤها هذا ردّ فعل متأخر على الإصابة التي تعرضت لها في الرأس؟ ثم خطر له بانزعاج أنّ هذا على الأرجح ردّ فعل على إجبارها على المضي في زواج تشمئز منه.

ـ يا للغباء!

راقبها خافيار وهي تجاهد لفتح عينيها، وتمتمت: «كان عليّ أن أتناول الفطور».

صرخ: «ما من شك في هذا».

وشعر بالارتياح عندما خفّ اللون الأزرق الذي غطى شفتيها، ثمّ

gege86

أضاف متسائلاً: «آمل ألا تكوني من النساء اللواتي يمتنعن عن تناول الطعام».

بذلت جهداً لترفع رأسها عن كتفه وسألته: «أأبدو لك كواحدة منهن؟».

فردّ بصوت مخنوق: «تبدين...».

ثم توقف ليستعيد رباطة جأشه وتابع: «كشبح».

ـ اصطحبيها إلى المنزل يا خافيار، فالاستلقاء في مكان بارد سيفيدها. لقد أعدّت سارة عشاء صغيراً، ظننا أنكما سترغبان...

ـ لا، لكن شكراً لك يا سيرج. ليتني أستطيع إحضار السيارة إلى هنا!

ألحّ سيرج بعد أن لاحظ مدى توتّر صديقه: «دعها معي يا خافيار ريثما تذهب لإحضار السيارة».

تردّد خافيار لكنه اقتنع أخيراً بإنزال الحمل الذي بين ذراعيه، فيما راحت «كايت» تدعي أنها بخير وقادرة تماماً على السير إلى السيارة.

ـ أستبقى معها، سيرج؟

طمأنه صديقه: «لن أدعها تغيب عن ناظري لحظة».

اعترضت «كايت» فيما كان خافيار يجلسها على المقعد الحجري: «هذه سخافة! شعرت بالدوار للحظة وهذا كل ما في الأمر!».

قال خافيار: «ستفعلين ما أقوله!».

تمتمت «كايت»: «في أحلامك فقط!».

رفع حاجبه وسأل: «أقلتِ شيئاً يا عزيزتي؟».

ـ لم أقل شيئاً يعجبك.

ـ لم أشك في ذلك.

واستدار مبتسماً قبل أن يتوجه إلى السيارة. ظلت «كايت» تراقبه إلى أن غاب عن نظرها، فخرجت تنهيدة مرتجفة من بين شفتيها.

ـ أتهتمين لأمره...؟

قفزت «كايت» مستغربة السؤال الذي وجّهه إليها الرجل الجالس

بقربها: «عفواً؟!».

أعاد سيرج ملاحظته بهدوء.

وجدت «كايت» التي ارتبكت من السؤال، صعوبة في تجنّب نظرات سيرج، فقالت: «أنا لا أعرفه، فكيف تريدني أن أهتمّ لأمره؟!».

وضحكت ساخرة ثم أردفت: «خافيار تزوج ليتمكن من السيطرة على الشركة. وإذا كنت لا تعلم هذا، فأنا في ورطة كبيرة. لعله سيتهمني عندئذ بأنني جاسوسة أفشت أخباره».

ـ أهذا ما قاله لكِ...؟ إنه قلق بشأن الميراث؟

وهزّ سيرج رأسه ثم أضاف: «أظن أنك لم تلتقي فيليبي أبداً».

دهشت «كايت» من ردّ فعل سيرج وقالت: «لا نزور الأماكن نفسها».

قال بثقة: «لو رأيت يوماً فيليبي وخافيار معاً لأدركت أنه لن يحرمه أبداً من الميراث، فهذا الخيار ليس مطروحاً للنقاش».

شرحت «كايت»: «لقد تشاجرا، وهو يريد من خافيار أن يتزوج فتاة...».

استبعد سيرج هذا الاحتمال بهزة من كتفيه: «طبعاً، فهما يتصادمان غالباً وهذا أمر محتّم. كلاهما عنيد، لكن فيليبي يحب خافيار كثيراً. أتعلمين أنه ربّاه بعد وفاة أمّه؟».

شيء ما في نبرة صوته لفت انتباه «كايت»، فسألته: «كيف توفيت؟».

ـ تناولت جرعة مفرطة من المخدرات. كان خافيار في العاشرة من عمره عندئذ، وقد وجدها ميتة.

تمتمت كايت وقد أرعبتها فكرة رؤية طفل في العاشرة من عمره لأمه ميتة هكذا: «يا إلهي!».

آه، يا لها من مأساة أن يعيش هذا الولد حياته وصورة أمه لا تفارق مخيلته! ورق قلبها الطيب: مسكين خافيار!! ثم سألت: «هل والده متوفٍ أيضاً؟».

هزّ سيرج رأسه: «لا، شعر بالذنب بعد وفاة زوجته، فقد كانت مغرمة

www.rewity.com
gege86

به، أمّا هو فكان زير نساء، ولم يكن يخفي الأمر. تملّكه حزن كبير لسنوات عدّة، وأظن أنه يعيش الآن في مزرعة تملكها العائلة في «فنزويلا» ولا يختلط كثيراً بالناس، ترك خافيار مع فيليبي، لذا فالوالد الوحيد الذي يتذكره خافيار هو فيليبي».

أطرقت «كايت» تفكّر بألم في طفولة خافيار: «لكن لا أفهم... لمَ تزوجني! إذاكان ماتقوله صحيحاً؟ إذا كان متأكداً من أن جدّه لن يحرمه من الميراث؟».

ـ لا بدّ أن لديه أسبابه.

اكتفى سيرج بهذا القدر من التفسير، أمّا «كايت» التي تعاني دواراً، فلم تفعل.

وناحت: «لقد كذب عليّ».

ـ لعله... أظن أنه... يكترث لأمرك.

آه يا إلهي! لا بدّ أن هذا الرجل أصبح مفرط الحساسية كزوجته.

صرخت: «يكترث لأمري؟ أجننت؟ أنت تعرف كيف التقينا. منذ ثماني وأربعين ساعة، وهو ليس معجباً بي حتى!».

ردّ سيرج وقد علت وجهه ابتسامة مشرقة: «أحببت سارة منذ اللحظة التي وقع فيها نظري عليها».

فقالت «كايت» بتهور: «وخافيار أيضاً وكثيراً في الواقع. آه يا إلهي!» ثم وضعت يدها على فمها بسرعة وتلعثمت: «لم أقصد هذا... أنا آسفة...»

ـ لا بأس، أنتِ لا تخبرينني شيئاً لا أعرفه.

آه يا إلهي! ناقشا هذا الموضوع؟

ـ ألا تمانع...؟

لا بدّ أنّ هذا الرجل غريب الأطوار لأنه لا يمانع أن يغرم رجل بزوجته لا سيّما وأنّ هذا الرجل الآخر متسلّط ورجولي. فكيف عساه لا يمانع؟

ـ ألا يقلقك هذا؟ بغض النظر عن مدى ثقتك بصديقك، ألا يساورك

بعض الشك؟

ـ لمَ عليّ أن أقلق يا «كايت»؟

هزّت «كايت» رأسها. لم تستطع أن تسأله إذا كان يخشى أن يضعف خافيار يوماً ويتحرّش بزوجته، فخافيار رجل جذاب للغاية يثير إعجاب كل النساء، حتى اللواتي يعشن حياة زوجية هانئة وسعيدة.

نظر إلى «كايت» وقال: «تجهل سارة حقيقة مشاعر خافيار نحوها وأريد أن يبقى الأمر على هذا الحال. أعلم تماماً أنه لن يبوح بالأمر أبداً...».

ـ وأنا لن أتفوه بكلمة.

ـ حسناً، دعيني إذاً أخبرك قصة ولعلك ستفهمين عندئذ لما خافيار هو موضع ترحيب دائم في منزلي. في شبابها، التقطت «سارة» عدوى مرض جعلها عاجزة عن إنجاب الأطفال بشكل طبيعي، وقد خشيت أن أنبذها لهذا السبب.

فكّرت كايت في أن سارة امرأة محظوظة للغاية لأنها جعلت رجلين يفعلان في حبّها، وتابع سيرج: «أنا لست رجلاً ثرياً».

وراح يخبرها كيف أصبح وخافيار صديقين حميمين.

ـ كان العلاج مكلفاً، ولم يكن بحوزتنا المال الكافي. كانت أحلامنا غير واقعية وعندما فشلت أحبطت سارة كثيراً وانهارت.

أدركت «كايت» أن تذكر تلك الأيام السوداء يزعج سيرج كثيراً.

ـ لكن لديكما «راوول».

رمشت عيناه السوداوان: «نعم، لدينا راوول بفضل خافيار».

نفد صبر «كايت» وأحست بأنها ترغب في اقتلاع المعلومات من فمه فيما أطرق هو وغرق في الصمت مجدداً.

ولم تعد تستطيع كبح فضولها مجدداً، فسألت: «ساعدكما خافيار بطريقة ما...؟».

أومأ: «ساعدنا خافيار فسافرنا إلى إنكلترا كي تقضي سارة بعض الوقت مع عائلتها. وبعد أن شعرت سارة بتحسّن دبّر لنا موعداً مع أحد أشهر

www.sewity.com
gege86

الاخصائيين في انكلترا. كان الطبيب صريحاً في ما يتعلق باحتمال الحمل لدى سارة، فبسبب مشكلتها الغذائية، لم تكن فرصتنا في الإنجاب عالية. وبعد أن درسنا الموضوع من كافة جوانبه، عزمنا على المضي في العلاج، وقد ساعدتنا كثيراً عائلتها في ذلك الوقت، وجاء راوول ثمرة جهودنا.

دهشت «كايت» عندما أدركت أنّ خافيار يراعي جداً مشاعر الآخرين، فلو أراد الحصول على سارة لاكتفى بالوقوف والتفرّج على زواجها ينهار.

يا إلهي! يا لشخصية خافيار المعقدة! من الواضح أن في شخصيته صفات أسمى من اعتداده برجولته. لكن معرفتها بكلّ هذا لا تغيّر الواقع، فقد اختارها خافيار زوجة له لأنها لا تحبّه. هذا أمر عليها أن تتذكره في المرّة المقبلة حين تتشاجر معه.

* * *

أوقف خافيار السيارة وسط الطريق وسبّب زحمة سير، فأوشكت «كايت» أن توبّخه على تصرفه هذا حين وصلت سارة تلهث بسرعة وصرخت: «آه! يا إلهي! «كايت» هل أنتِ بخير؟»

ردّت «كايت»: «أنا بخير! لا تنخدعي لأن خافيار يحملني ككيس بطاطا ولا يدعني أمشي».

ـ هل أنتِ متأكدة؟ قال سيرج إنه قد أغمي عليك.

وخطرت في بالها فكرة أضاءت وجهها: «آه يا إلهي! أنتِ لست حاملاً، أليس كذلك؟»

ـ حامل؟ لا طبعاً لا!

واستدارت دون أن تتجرأ على النظر إلى خافيار.

حزنت الشقراء الصغيرة وقالت: «يا للأسف! من المفرح ألا يكون هناك فرق كبير في العمر بين «راوول» وطفلكما البكر».

لم تصدّق «كايت» أذنيها حين قال خافيار بصوته الأجش: «على الأقل، ليس بعد لكنها شربت من النبع في طريقنا إلى هنا، أليس كذلك يا حبّي؟».

رمقته «كايت» بنظرة أفهمته أنّ عليه التوقّف عن مناداتها «حبّي»

وتدليلها وإلا... وأجابت مدافعة: «الطقس حار والغبار يملأ المكان».

تعاطفت سارة مع «كايت»: «لا تضايقها يا خافيار، ألا ترى أنك تحرجها؟ آسفة «كايت» لم أقصد أن أهينك، لكن زواجكما السّري جعلني أظن...»

ردّت «كايت» من دون تفكير: «اضطررنا إلى الزواج! حسناً لم نضطر، بل...».

حاولت جاهدة إيجاد جواب ملائم لكنها عجزت، وبشكل غير متوقّع أنقذها خافيار من هذا الموقف الحرج.

فقال وقد ارتسمت على وجهه أمارات العشق والوله: «جدّي ليس بخير سارة، ولم يكن من العدل إقامة زواج ضخم، لكننا لم نستطع الانتظار أكثر، أليس كذلك حبّي؟».

رمقها خافيار بنظرة هادئة فأومأت مؤيدة.

ـ آسفة بشأن جدّك! لم أكن أعرف.

قاطعها خافيار قائلاً: «آسف، لكن «كايت» ليست بخير، لن نتمكن من تناول العشاء معكما... أنؤجل ذلك إلى يوم آخر؟».

وافقت سارة: «طبعاً».

* * *

arabnewity.com
gege86

١٠ ـ لحظة استسلام

خلافاً للجناح في المنتجع، كان هذا الجناح مؤلفاً من غرفتي نوم كبيرتين. لم تكن «كايت» تحمل أمتعة ترتّبها، لكنها سرعان ما أدركت أن خافيار استبق الأمور، فقد وجدت مجموعة كبيرة من الثياب معلّقة في الخزانة وأخرى مرتبة على الرفوف. وكانت هذه الملابس كلها «ماركات» معروفة. وفيما راحت تتأمل الثياب الداخلية الموضوعة في أحد الجوارير، تساءلت كيف عرف مقاسها. كانت لا تزال متعبة قليلاً ونعسة بعد أن نامت في السيارة، حين دخلت إلى غرفة الجلوس حاملة لوح صابون من النوع الذي تفضّله، وسألته:

ـ كيف عرفت؟

ردّ خافيار ببساطة وهو يسكب لنفسه كوب عصير طازج: «أجريتُ بحثاً دقيقاً. ستشعرين بتحسّن إذا ما استحميت!».

ونظر إلى فستانها وإلى قدميها الحافيتين ومن ثم إلى وجهها وسألها: «أم تفضلين أن أطلب الطعام إلى هنا؟».

بمعنى آخر، أبدو بحالة مزرية!!

قالت من دون أن تبتسم: «قد أقبل منك لوح الصابون لكني لن أقبل الثياب».

ـ تقبلين بالملايين مني لكنك ترفضين حفنة من الملابس؟ لا بدّ أن للأمر تفسيراً منطقياً، لكنني أخشى أنني لا أعرفه.

ـ الأمر مختلف وتعرف هذا.

ـ عليك أن ترتدي ملابس ملائمة للدور، فأنت زوجتي ويُتوقع منكِ أن

تظهري بحلة معينة.

صرخت بحدّة: «آسفة لأن ثيابي لا تعجبك ولكنني لن أسمح لك بجعلي أبدو كالفتيات اللواتي تعرفهن! لذا تستطيع إلغاء الموعد عند مزين الشعر وإخصائية التجميل. لم يكن هذا جزءاً من الاتفاق، ولا يمكنك أن تقول إنني لم أنذرك. قلت لك إنني لا أساوي المال الذي تدفعه، لكنك أصريت على الزواج بي، لذا إذا كنت تشعر بالخجل مني أمام أصدقائك الأغنياء فهذا أمر مؤسف!».

بعد أن أنهت كلامها، شعرت «كايت» برغبة كبيرة في البكاء... كما لو أنها تهتم حقاً لرأيه بها.

راقبها خافيار ثم راح يصفّر. وتوجّه إلى كرسي وجلس واضعاً كوب العصير على طاولة بقربه.

قال لها بهدوء: «أدركت أنكِ لن تتمكني من إحضار أمتعتك كيلا تثيري الشبهات، لذا بدا من المنطقي أن أحضر لك بعض الثياب بمقاسك، وأصريت على أن تكون الملابس كلاسيكية وبسيطة كما تفضّلين».

ـ آه.

ونظرت إلى فستانها وتساءلت عن ذوقه.

وتابع بجفاء: «لو شئت أن أتصرف بتسلّط لما اخترتك، فأنت الشخص الأقل طواعية الذي التقيته في حياتي، كما أننا سنحضر لقاءات يرتدي فيها الناس ثياباً أنيقة غالية الثمن. يمكنك أن ترتدي ملابس من محلات عادية إذا ما شئت ذلك، ولكني أعتقد أنك ستجدين صعوبة في الانسجام معهم. ولا أرى من داعٍ لأن أجبرك على شراء ملابس بما يفوق ميزانيتك».

وبعد أن ردّ على كل اتهاماتها وجعلها تبدو سخيفة وغير منطقية وناكرة للجميل، شرب جرعة من العصير.

وفيما رفع كوب العصير ليشرب راح يتفحصها مجدداً: «بالمناسبة يعجبني شعرك».

لمع في عينيه بريق تسلّط وهو يراقب تموجات شعرها بإعجاب غير

www.rewity.com
gege86

متوقع.

قال لها بنعومة: «سأخاطر بجعلك تهرعين لتقصي شعرك أو لتصبغيه كي تظهري لي مدى احتقارك لرأيي، وأعترف بأنه لن يعجبني إذا قمت بتغيير أي شيء فيه».

استعادت «كايت» السيطرة على نفسها: «العلي تسرعت قليلاً بالنسبة إلى الملابس لكن كان عليك أن تخبرني أننا آتيان إلى هنا».

وأبعدت خصلة من شعرها عن وجهها فزاد إعجابه بها. لم تكن تبدو أبداً كعروس ليلة زفافها.

وبالرغم من أن خافيار قد خلع سترته وأرخى ربطة عنقه إلا أنه بدا نضراً كالسابق.

- سيقلق والداي...

آه، يا إلهي! عليها أن تخبر والديها. سيكون هذا الموقف مضحكاً، فماذا عساي أقول...؟ أمي وأبي، لقد تزوجت في الأمس، لكن لا تقلقا، لن يغير هذا شيئاً في حياتي.

وأدركت وهي تحدّق إلى الرجل الجالس في الكرسي أن حياتها تغيرت فعلاً.

- تركت رسالة لوالديك أعلمهما فيها أنك تشعرين بتحسّن وأنني أخذتك لزيارة أصدقاء لنا وقد نمضي الليلة هناك.

- لديك كذبة لكل مناسبة.

- هذه ليست بكذبة، فسيرج صديق لي وهو يدير هذا الفندق.

- آه! أهكذا تعرّفت إليه؟

- يملك جدّاي فيلا على بعد ميل من هنا، وكنا نمضي الصيف فيها.

ولاحت على وجهه ابتسامة أوحت لكايت أنه يستعيد ذكريات سعيدة.

سُرّت «كايت» بذلك. فبعد أن أخبرها سيرج عن طفولة خافيار المؤلمة فرحت لأن خافيار يملك بعض الذكريات السعيدة. ويلمعت بريقها حين لاحت أمامها صورة صبي صغير وحيد، بشرته ذهبية وعيناه زرقاوان،

وألمت هذه الصورة قلبها.

شرح لها: «عملت والدة سيرج لديهما كمدبّرة منزل. كنا نركض ونلعب معاً. في الواقع، كان هذا المكان أحد أماكننا المفضلة، وكان مجرّد حطام في ذلك الوقت، وخطراً أيضاً. لكنك غير مهتمة بأن تستمعي إلى أخبار طفولتي».

في الواقع، كانت مهتمة كثيراً بذلك. وذعرت «كايت» عندما أيقنت مدى اهتمامها بمعرفة كافة التفاصيل، إذ راحت تلتهمها كمدمنة.

- أأعجبتكِ الترتيبات التي قمتُ بها..؟

- يبدو أنك استبقت الأمور كافة...

- ليس كلها.. ظننت أنني فعلت لكن تبين لي أنني مخطىء.

كانت «كايت» محور اهتمام العينين الزرقاوين. وعندما لم تعد قادرة على تحمّل نظراته، أدارت ظهرها وادّعت أنها تهتم باللوحات الفنية المعلقة على الحائط، في حين أنّ كل ما يشغل بالها فعلاً هو خافيار. كانت حواسها كلها متيقظة لأقل حركة يأتي بها، أو لأقل صوت يصدر عنه، وراحت تركّز بشدة بحيث بدأت تسمع وترى أشياء غير موجودة.

- ألم تُسري لأنني تركت رسالة لأهلك؟

- ليس هذا، إنما... حسناً أنا معتادة على القيام بالأمور بنفسي. ويتنابني الآن شعور غريب إذ أن شخصاً آخر يتكلم بالنيابة عني.

- آه، نعم! المرأة العاملة المستقلة...

استدارت «كايت» غاضبة: «إيّاك أن تكلّمني هكذا... وإلاّ...»

نصحها بهدوء: «إذا شئت أن تطلقي التهديدات يا «كايت»، فأنصحك بالتفكير في ما تريدين أن تخيفي ضحيتك به قبل أن تبادري إلى إطلاق التهديدات العبثية. أظن أن الطريقة المتبعة بين المتزوجين هي حرمان الرجل من العلاقة الشرعية، ولتتمكني من حرماني من هذا العلاقة عليكِ أن تمنحيني إياها أولاً...»

أتراه يسألها بطريقة غير مباشرة أمْ أن مخيلتها الخصبة تطلق العنان

www.rewity.com
gege86

لنفسها؟ شعرت «كايت» بقلبها ينبض كطبل عندما خطر لها للحظة أنه يرغب في تثبيت زواجهما واتمامه.

أبعدت أفكارها بحدّة عن المنحى الذي اتخذته وقالت: «ما أريد قوله... تباً! ليتني أعرف ماأريد قوله!».

أخذت نفساً عميقاً وحاولت الكلام مجدداً: «كان لبريحني أكثر لو استشرتني. لكنت شعرت عندئذ بأنك...».

ـ بأنني ماذا؟

وضعت يدها على عنقها والتقت أعينهما فأحست بنبضها يتسارع وأخيراً قالت: «لا تتلاعب بي».

ـ أهذا ما أجعلك تشعرين به؟

تجعلني أشعر بأمور كثيرة، محرومة، بحاجة، فاقدة السيطرة على نفسي... تنهدت ووضعت خصلة من شعرها وراء أذنها: «إنسى الأمر! في الواقع، شعرت بصدمة لأنني استيقظت ووجدت نفسي هنا».

تذكّر أنها لم تصدم في البداية، بل بعد دقائق عندما غاب الشعب عن عينيها.

عندما أيقظها بنعومة، لم تخفِ مشاعرها عنه. بدت عيناها النعستان وكأنهما تدعوانه لعناقها وخطفت نظرتها أنفاسه. شعر في تلك اللحظة القصيرة أنها تشعّ نعومة وحناناً لمجرّد رؤيته.

ذكر هذه اللحظة جعله يشعر بأنه يعيشها مجدّداً وتاق إلى أخذها بين ذراعيه ومعانقتها بحرارة وشغف.

حين مدّت يدها ولمست خدّه وداعبت بأصابعها ذقنه، أحسّ خافيار بأنّ عليه إجراء تعديلات على خططه، وأنه بحاجة إلى الاتحاد معها بعناق أبدي بالرغم من أن الوقت غير ملائم.

عبس قليلاً حين أزاحت يدها عن وجهه وقالت وقد فتحت عينيها قليلاً: «أنت لست حلماً».

ثم ما لبثت أن استيقظت وعرفت أين هي ومع من.

لم يعتد خافيار أن يتمنى شيئاً لكنه أمل في تلك اللحظة أن يكون الرجل الذي تحدثت عنه، الرجل الموجود في حلمها. وتمنّى لو أنه ليس الرجل الذي يزعجها بوجوده.

تراجعت «كايت» حين قفز خافيار فجأة عن كرسيه وراح يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً بعصبية... ترى هل الشك يساوره حول هذا الزواج الشكلي؟

لعلّ الندم يتآكله فهو بادٍ تماماً على وجهه. راقبته وهو يفتح الباب ويتجه إلى الشرفة حيث سلال الأزهار موضوعة بترتيب وذوق.

عندما استدار ليواجه «كايت»، توقفت تلك الأخيرة عن التنفس.

بدا خلاباً والنسيم العليل يداعب شعره الأسود، ويشدّ قميصه ليجعله ملتصقاً بصدره.

برزت ملامح وجهه وهو يتأملها من دون أن يرمش له جفن: «ظننتك سترحّبين بالحصول على فرصة لإجراء الترتيبات الضرورية قبل أن تواجهي عائلتك. أعلم أنني أرحّب بهذا. أنتِ لم تتوقعي حتماً أن نعود الليلة. أظننت أنك ستشاركين أختك غرفتها الليلة؟».

ردّت بصراحة: «في الواقع كنت منهمكة بالتفكير في الطريقة المُثلى للمضي قُدماً في هذا الزواج، فلم أفكر كثيراً بشهر العسل».

في الواقع «يا كايت»، أنت لم تفكّري في شيء! وارتمت بقوة على كرسي خشبي.

ابتسم ابتسامة عجزت عن تفسيرها: «أقلتُ شيئاً مضحكاً...».

سأله فيما كان يبتسم، وأوضحت الأمر بسرعة: «أنا لا أقصد شهر العسل بالمعنى الحرفي طبعاً».

ـ تعلمين أنّ غروري سيتعزز برفقتك.

لو لم يكن مضطراً لأن يردّ بعض النساء المصممات على ايقاعه في شباكهن لاضطر إلى إعادة النظر في القناعة الشائعة بين معارفه بأنّ العديد من النساء لا يعتبرن الزواج منه معاناة!

ـ أتعلم لكم من الوقت سنضطر إلى...

www.rewity.com
gege86

ـ العيش معاً؟

صححت له: «كنت أنوي أن أقول: إدعاء الزواج، فعبارة العيش معاً تدل على نوع من الحميمية».

ـ نحن متزوجان. لدي الأوراق التي تثبت ذلك.

عارضته: «ليس تماماً».

ـ لقد لاحظت هذا.

سلكت «كايت» طريق الجبن وغيّرت الموضوع لتتجنب نظرة التحدي التي رأتها في عينيه: «هذا فندق جميل جداً».

وخرجت إلى الشرفة التي تطلّ على ملعب مشمس وعلى منظر خلاّب للجبال. وضعت يديها على «الدرابزين» وانحنت لتلقي نظرة على النافورة. كان الصوت الوحيد المسموع هو صوت خرير المياه وطنين النحل، مما يريح الأعصاب.

ـ حين كنا نتفحّص كتيبات العطلة، أردت أن أمكث هنا، لكنني واجهت معارضة.

أغمضت عينيها ورفعت رأسها باتجاه الشمس.

أدرك خافيار فوراً من الذي عارض فكرة «كايت»، فهو يعتقد أن الأخت الصغرى صاحبة الابتسامة الساحرة تحصل دائماً على مرادها. لكن الأسوأ هو أن «كايت» تتقبّل المرتبة الثانية ببساطة. أمّا هو، فيؤمن بأن التي تستحق الحلول في المرتبة الأولى هي كاترين. م. أندرسون وحدها.

لم تلاحظ «كايت» أنه يحدّق إليها إلى أن شعرت بأنفاسه تداعب عنقها وهمس بنعومة: «يا حلوة...».

التفتت «كايت» إليه بسرعة ففقدت توازنها للحظة وكادت تسقط عن الشرفة.

صرخ خافيار وهو يمسكها ويبعدها عن الدرابزين: «يا إلهي».

وبعد أن أمسكها جيداً أدارها بقوة نحوه.

وضع يده حول خصرها فاستقامت، أمّا اليد الأخرى فراحت تداعب

شعرها. شعرت «كايت» أنها قريبة جداً منه. وكانت كل لحظة تمضيها قربه مخيفة أكثر من وقوعها عن علو خمسين قدماً.

أحست وهي قريبة منه بمدى قوة جسمه والأحاسيس الجياشة التي تجتاحه. وقفت «كايت» مذهولة فيما تحرسها قوة إسبانية حنونة.

عضّ على شفته وسألها وهو لا يدرك أنها لا تفهم شيئاً مما يقوله: «أتحاولين الإنتحار؟».

ـ لِمَ؟ أتنوي القيام بهذه المهمة بدلاً مني؟

بدا جلياً أنه لم يسرّ بجوابها، إذ أخذ نفساً عميقاً محاولاً ضبط أعصابه.

ـ لا تجربيني...!

نصيحته الساخرة جعلت فمه يلتوي قليلاً... فيما جالت عيناه على وجهها تلتهم أدق تفاصيله بنهم وجوع كبيرين. لطالما فاخر بقدرته على السيطرة على نفسه، لكن وجودها بقربها تجربة صعبة وجد نفسه عاجزاً عن التغلب عليها.

كاد التجاذب بينهما أن يكون ملموساً. وأحسّت «كايت» أنّ قدميها غير قادرتين على حملها، وإن أفلتها الآن فستسقط إلى الأرض، لكنه لا ينوي إفلاتها، بل على العكس، أحكم إمساكها أكثر. شعرت وكأن يداً سحرية امتدت إلى قلبها وبدأت تعتصره. ومنعها الألم الذي تشعر به من التنفس جيداً.

قالت بحدّة: «الذنب ذنبك، ما كان عليك أن تقترب مني هكذا».

أخذ خافيار نفساً عميقاً وقال غاضباً وهو يحني وجهه نحو وجهها: «أنتِ أصعب النساء اللواتي عرفتهن مراساً!».

اشتدت الأصابع التي تداعب شعرها وثقل تنفسها تدريجياً إلى أن عجزت عن التقاط أنفاسها.

رطبت شفتيها المرتجفتين فيما سمعت حشرجة صادرة عن خافيار.

ـ آ... آسف.

ومن دون أن تعي ذلك، شعرت «كايت» أنها مسؤولة بطريقة أو بأخرى

www.rewity.com
gege86

عن معاناته، وارتعشت حين اكتسحتها موجة جارفة من المشاعر الغريبة.

همست قبل أن يقترب منها ويعانقها: «أرجوك...».

عانقته «كايت» بحرارة وأحست بجسمه يلتصق بها، كلّ ما أرادته هو قضاء أكبر وقت ممكن بين ذراعيه، فراحت تشتم رائحة عطره الذكية. غرزت أصابعها في شعره الأسود وأحست بجسمها يرتجف من قوة المشاعر التي تملّكتها.

حين ابتعد عنها، تمتم: «أنت جميلة للغاية».

فارتجفت بشدة فيما ارتسمت على شفتيه ابتسامة مفترسة حين أخذ وجهها بين راحتيه وراح ينظر بنشوة إلى عينيها اللامعتين بفعل الهوى.

تمتم: «أريدك».

فتنهّدت وردّت: «أنا زوجتك، أتذكر؟ أو لعلك تنتظر دعوة رسمية؟».

ضمها بين ذراعيه يعانقها بشغف فأغمضت عينيها واستسلمت لعناقه. شعرت كايت برغبة في البكاء بسبب قوة المشاعر التي أثارها فيها، فقد أحست ولأول مرة في حياتها بأنها تكاد تفقد عقلها.

في البداية لم يسمع أي منهما الهاتف يرنّ، وحين فعلا قرّرا تجاهله، إلا أن الرنين استمر بحيث قطع الانسجام بينهما.

شتم خافيار بالإسبانية ومرّر يده على جبينه ثم قال: «سأعود فوراً».

قالت: «إذا لم تفعل، سألحق بك».

وراحت تراقبه وهو يمشي بخطى ثابتة رجولية.

عندما رفع خافيار سماعة الهاتف، أحست «كايت» بأنها تكره المتّصل، بغض النظر عن هويته. كانت تتوق لمعانقة خافيار مجدّداً لذا انزعجت من هذا الاتصال غير المرغوب فيه.

وبالرغم من أنّ خافيار كان يتحدّث بالإسبانية، إلاّ أنه لم يمضِ وقت طويل قبل أن تحسّ بأنّ مكروهاً قد حدث... أمر خطير للغاية.

عندما أعاد السماعة إلى مكانها كانت «كايت» قد جلست على الكنبة واضعة يديها في حضنها، وعندما تقدّم منها أحسّت بأنّ أمراً غريباً قد

حصل.

- توفي جدي.

بدا وكأنه فقد الإحساس بما حوله.

فتمتمت «كايت»: «لكنني ظننته...».

ردّ: «لم يمت بسبب السرطان. تحطّمت طائرته... يا لسخرية القدر!»

- آسفة خافيار.

وما كان من تعاطفها إلا أن أبعده عنها. نظرت إليه فرأت ملامحه قاسية وصعب عليها أن تصدّق أنه الرجل الشغوف الحنون الذي كان يعانقها منذ لحظات خلت.

- إنهم يحتاجون إليّ.

- طبعاً.

وقفت هناك وقلبها يبكي حزناً. ولكن أنت إلى من تحتاج؟ من عساه قادر على أن يعزيك؟

- الطائرة الخاصة، الطائرة الخاصة الأخرى آتية لتقلّني. سأرحل في الصباح الباكر.

لم تتمكن كايت من ربط الأمور ببعضها على الفور... قال سأرحل ولم يقل سنرحل. ولكن طبعاً فكل شيء تغيّر. لم يعد هناك من داعٍ للإدعاء، وهذا يجعلني ماذا...؟ لا حاجة إليّ. لم يعد يحتاج زوجة، لم يعد بحاجة إليّ.

وتراءت لها صورة وجهه وهو يعانقها. إنه لا يهتم الآن بحاجته!

- لا بدّ أنك ندمت على زواجك بي، لو أنك انتظرت يوماً واحداً بعد...

التوى فمه وردّ من دون أن يبتسم: «يا لسخرية القدر!».

- لِمَ تزوجت بي خافيار؟ قال سيرج إن جدّك ما كان ليحرمك من الميراث.

ردّ: «هذا صحيح. ادّعيت أنني آخذ تهديداته على محمل الجدّ. فإذاء

www.rewity.com
gege86

دور الطاغية القاسي القلب هو إحدى ملذّاته في الحياة».

تعابير وجهه وهو يتحدّث عن جدّه جعلتها تبكي: «لمَ إذاً...؟».

فشرح لها ببساطة: «أردت أن أسعده في آخر أيامه».

ـ إذاً ماذا سيحصل الآن... بي...؟

ساد صمت مطبق إثر سؤالها المتسرّع، صمت لم يكن خافيار ينوي كسره. وكلّما استمر الصمت كلّما زاد شعور «كايت» بالحرج. لقد علم لتوّه أن جدّه توفي وكلّ ما يزعجك هو ما سيكون دورك الآن، يا للأنانية «كايت»!

ـ أعلم أنّ أموراً كثيرة تشغل بالك، لكن كنت أتساءل فقط...

ـ ماذا تريدين أن يحدث يا «كايت»؟

صدمها السؤال المفاجيء: «أنا...؟»

وهزّت كتفيها ثم قطّبت: «أظنني أريد أن تعود الأمور إلى سابق عهدها...؟».

ـ أظن...! لمَ تظنين...؟

ابتسمت وحاولت إضفاء بعض الإقناع على نبرة صوتها: «أعني ما من داعٍ لأن يعرف أحد بما جرى».

ـ وحدي أنا سأعرف هذا.

أدركت «كايت» فجأة أن الأمور لن تعود أبداً إلى سابق عهدها فأحداث اليومين الأخيرين غيّرت أموراً كثيرة في داخلها كما أنها تشعر بشيء ما نحو هذا الرجل.

وخطر لها الاحتمال التي عملت جاهدة على إبعاده: لعلّها وقعت في حبه... أمن الممكن أن تكون قد أغرمت به ولو قليلاً؟ لا. جاء الردّ قاطعاً، لا يا إلهي! ليس خافيار!

ـ كما تشائين.

هزّ كتفيه بطريقة أكدّت لكايت أنه عانقها تجاوباً مع ردات فعلها وحسب ثم قال: «سأتدبّر وسيلة تعيدك إلى الفندق».

ـ شكراً.

رفع عينيه إلى وجهها فرأت فيهما ألماً فظيعاً. عندئذ، رفعت يدها نحوه معزّية، لكنه نظر إلى مبادرتها باحتقار وازدراء، فهبطت يدها بسبب نظراته الباردة:

ـ أرجو أن تعذريني، فعليّ أن أتصل بأختي. إنها لا تعرف بعد وأرغب في أن أخبرها بنفسي. سيكون الأمر صعباً عليها.

* * *

بقيت «كايت» لساعات في غرفتها، وقد توترت أعصابها وهي تسمع خافيار يروح ويجيء في غرفته. كان حزنه يفرز سكيناً في قلبها، وعجزها عن فعل أيّ شيء للتخفيف من حزنه زاد الأمر سوءاً.

ظنّت أنّ ما تشعر به هو أسوأ شعور في العالم إلى أن لم تعد تسمع وقع خطواته وساد صمت مطبق في الغرفة الثانية، فبدأت مخيلتها تجمح... خافيار رجل قوي، والرجال الأشداء لا يجيدون التعبير عن مشاعرهم. وحين تتأزم الأمور، يتصرفون بطريقة غريبة.

مضت نصف ساعة وهي تتخيله يتعذب بصمت حتى لم تعد تقوى على التحمل.

إذا كان نائماً فستنسحب من الغرفة ولن يعرف أبداً أنها كانت هناك، أمّا إذا لم تجده... فستفكّر في هذا الاحتمال في حينه.

ولم يكن نائماً.

حين دفعت «كايت» الباب وجدت خافيار جالساً على السرير مرتدياً ملابسه، ورأسه بين يديه. وفجأة بدا لها تواجدها هناك فكرة سيئة. تراجعت وأوشكت أن تغلق الباب حين تكلّم: «عليك أن تكوني نائمة».

ـ سمعتك تمشي في الغرفة.

بدا ضعيفاً للغاية، فودّت لو تهرع إليه وتعانقه، لكن العدائية في نظراته جعلتها تتوقف.

ـ آسف لأنني أزعجتك. سألتزم الهدوء.

www.rewity.com
gege86

صرخت بغضب: «لا أهتمّ لهذا».

بدا أنه يتألم كثيراً إلى حدّ أنها أرادت أن تبكي. دعني أزيل القليل من آلامك! لكنها أدركت أنه سيرفض كلامها هذا فاضطرّت إلى التصرف بطريقة أخرى.

ـ إذاً ما الذي تهتمين به؟ آه! عذابي! تشعرين بالشفقة نحوي. ربما تريدين أن تعزّيني بمنحي جسدك الجميل.

وراح ينظر إليها مهيناً، متأملاً جسدها.

رفعت «كايت» ذقنها: «لن تتخلّص مني بهذه السهولة».

لم تكن واثقة من نفسها كما ادّعت بل شعرت في داخلها باضطراب مؤلم، وراحت تكلّم نفسها: «لا يجدر بك أن ترمي بنفسك على الرجل الذي تحبينه فيما تعرفين أنه لا يبادلك المشاعر نفسها».

رأت عيني خافيار تتسعان وهزّ رأسه ثم سألها: «ماذا تخالين نفسك فاعلة؟».

ـ أريد أن أجلس بقربك.

واقتربت منه ثم جلست بقربه على السرير وراحت تداعب شعره الأسود الحريري. لم يتفوّه خافيار بكلمة بل راحت أنامله تلامس النبض المتسارع أسفل عنقها، فأغمضت عينيها وتنهدت تنهيدة عميقة.

عانقها فتصلّب جسدها للحظة لكنها عادت واستسلمت للمسات الرجل الذي تحب، ذاك الرجل الذي ظنت أنها تزوجته رغماً عنها.

شعرت بنيران جامحة تستعر في عروقها وتجرفها إلى عالم من النعيم، عالم من الأحاسيس المتفجرة التي ظنت أنها لن تعرفها يوماً.

وما هي إلاّ لحظات، حتى غابا في دوامة من المشاعر...

حين استيقظت، كان الصباح قد طلع ووجدت نفسها وحيدة في السرير.

أرادت أن تبكي، لكنها لم تفعل، فالبكاء سيريحها وتشكّ تماماً في أن تجد الراحة يوماً ما.

* * *

١١ ـ مائة عام

مرّ مدير المكتب بطاولتها وهنّأها شخصياً على نجاحها في قضية «بنتون».

ابتسمت «كايت» مرغمة وهي تصغي إلى مديحه لشخصيتها الفذة وذكائها اللذين جعلاها عضواً مهماً في الفريق.

سأل رفيقها فيما عاد الرجل العجوز إلى طاولته: «هل أحضر لك كأس شراب آخر؟».

ورفع كأس العصير ليشرب نخب «كايت» وقد عجز عن إخفاء الغيرة البادية في صوته: «من هي الفتاة الذكية إذاً؟ إنها تلميذة أستاذها!».

ـ لقد بالغ قليلاً في ما قاله. أظن يحبّ المبالغة.

ابتسمت تتجاهل ما حدث، فهي تدرك أن طبيعة «إيان» التنافسية تنزعج من نجاحاتها المتكررة.

في الواقع أحسّت بأنها مخادعة عندما تلقت المديح، إذ لم يكن انكبابها على العمل تفانياً أو رغبة في التألق بل مجرّد حاجة لملء وقتها وشغل نفسها. في الواقع، كان وصولها إلى المكتب قبل الآخرين ومغادرتها بعدهم وسيلة كيلا تجد وقتاً للتفكير. لكن، مهما كانت شديدة الإرهاق، كان خافيار يتسلل إلى أفكارها ليشغلها في كل لحظة. كانت أتفه الأمور تذكّرها به. لم تلاحظ من قبل عدد الرجال الطويلي القامة في لندن، أمّا اللهجة الإسبانية، فكانت تسمعها كلّما صعدت في الباص أو في القطار... لكن ما من شخص يملك اللكنة الخاصة التي يتميّز بها خافيار.

www.rewity.com
gege86

حين عادت إحدى السكرتيرات في المكتب من عطلة قضتها في «مايوركا» وراحت تقصّ أخبار عطلتها، اختفت «كايت» نصف ساعة في الحمام تحاول استعادة رباطة جأشها. أمّا في الليل، فساءت الأمور أكثر، إذ عاودتها الذكرى وقضت ليلتها تتقلّب في الفراش من دون أن يغمض لها جفن.

لحسن الحظ، لم يلاحظ أحد احمرار عينيها ذلك اليوم، كما أن أحداً لم يلاحظ أنها عادت من «مايوركا» شخصاً مختلفاً. كانت «كايت» متأكدة من أن التغييرات التي طرأت على شخصيتها تظهر في وجهها، لكن الشيء الوحيد الذي لاحظه زملاؤها هو أنها تضع العدسات اللاصقة طوال الوقت.

عارضها إيان: «المسألة ليست حبّه للمبالغة، بل كل ما في الأمر هو أنه رجل متكبّر ومزعج ويحبّ تملّق الناس».

بالرغم من أنه رفيق مسلٍّ وغير متطلّب عادة، إلا أنّه بدا اليوم مزعجاً وعابساً. كان «إيان» محامياً شأنه شأن معظم الموجودين في هذه السهرة التي تقيمها شركة المحاماة، والتي استمعوا فيها إلى خطابات المسؤولين. وقد حان الآن وقت الاحتفال و«إيان» متلهف أكثر من غيره للاحتفال.

قال: «لا تتصرفي هكذا يا «كايت»، فأنت لم تشربي شيئاً طيلة السهرة».

نظرت ساندي التي كانت تجلس قبالة «كايت» إليه من دون أن تتفوّه بكلمة. وبالرغم من أنها لم تتكلم إلاّ أنّ «كايت» أدركت أن لساندي شكوكها الخاصة.

قالت مازحة: «سأشرب كوب ماء. شكراً يا إيان».

ـ أظن أنّ السيد «سيمبسون» خائف لأنك مطلوبة.

ثم أضاف متشدقاً: «إذاً، الإشاعات صحيحة، وقد تلقيت عرضاً من شركة «هارغرفز وسانت جون»».

وتابع بمرارة: «لا بدّ أنك تلقيت دعماً كبيراً لتصلي إلى هذا المنصب. لا بدّ أنّ والدك عرف أين يهمس اسمك».

فقال الرجل الجالس قربه: «هذا هراء، «كايت» محامية ممتازة وأنت

تعرف هذا حق المعرفة».

إنزعج «إيان» من كلام «طوبي» فردّ عليه: «لا تتدخل في ما لا يعنيك!».

ارتاحت «كايت» حين عادت فتاتان تركتا الطاولة منذ قليل، ممّا ألهى الرجلين. بدت الفتاتان متحمّستين، إذ صرخت إحداهما: «لن تحزروا أبداً من رأينا لتوّنا... !»

ردّت «كايت»: «سأحاول أن أحزر إذا أعطيتني تلميحاً: ممثّلة، سياسي، ملك...؟».

ـ ليست امرأة بل رجل.

ـ من الرجال الذين يسلبون ألباب النساء.

ادّعت «كايت» أنها تفكّر ملياً ثمّ تذمّرت: «هذا التلميح شامل جداً...» وضحك الجميع.

ـ رأيناه مع هذا الوزير الذي... أنتم تعرفونه، السياسي الذي كتب المسلسل

فكر «طوبي»: «هذا يقلّل الاحتمالات. جهلك بالسياسة واضح جداً يا عزيزتي».

وأخذ بيدها متوجهاً إلى حلبة الرقص.

وألحت ساندي على الفتاة الثانية: «والآن أخبرينا من هي هذه الشخصية التي التقيتموها. أراهن أنه «براد بيت»».

قالت «كايت»: «يا لكِ من متفائلة!».

ردّت: «لا، بل أفضل منه بكثير! آه! يالإلهي، لا أصدّق! لا تنظروا الآن لكن أظنه... ! نعم، إنه آتٍ إلى هنا!».

قال إيان وهو يراقب «طوبي» يرقص منسجماً مع رفيقته: «أرقصي معي يا كايت!»

وتمتم غاضباً: «هذا الأحمق معتدّ كثيراً بنفسه».

ـ شكراً يا إيان لا أرغب في ذلك...

www.rewity.com
gege86

لم تشأ «كايت» زيادة الأمور سوءاً فاعتذرت مبتسمة.

لكن عينيه بقيتا مركزتين على طوبي فيما وقف عن كرسيه وقال بقوة وهو يشدّ على يدها: «تعالي سأجعلك ترغبين في ذلك».

أصرت «كايت» وهي تحاول أن تبعد يدها: «لا أريد أن أرقص يا إيان».

ـ بل تريدين...

سمعت صوتاً قوياً وراءها: «لا تريد السيدة أن ترقص معك».

جمدت «كايت» وغاب اللون عن وجهها، فيما تسارعت دقات قلبها بحيث عجزت عن التفكير.

استدار «إيان» نحو مصدر الصوت بغضب. في ظروف عادية، كان إيان ليتراجع عن موقفه بعد أن يرى حجم منافسه. أما اليوم فاختلف الأمر، وهو يأبى التراجع.

ـ ما خطبك...؟

لم تقترف «كايت» الغلطة التي ارتكبها «إيان» كما لم تنظر خلفها، فهي تخشى أن يجمّد جسدها بطريقة محرجة. بدا صوته ورائحة عطره الذكي التي تثير فيها أحاسيس غريبة، مألوفين. لا بدّ أنّ أحدهم سيلاحظ الآن أنها ترتجف كالورقة. لم أتى به القدر إلى هنا الليلة...؟

تنفست «كايت» مرتجفة وقالت: «إيان دعه».

وقفت بصعوبة وأجبرت نفسها على الابتسام ثمّ استندت إلى الطاولة بيدها وأردفت: «دعه، سأرقص معك».

لم تنظر إليه بل حاولت استجماع أفكارها المشتّتة بفعل الصدمة. فكّري... فكّري... حاولت جاهدة أن تفكّر لكنها عجزت عن التركيز. ما عساها تفعل؟ أتختبىء تحت الطاولة أم تهرع راكضة ويراها المحامون الموجودون في السهرة فتصبح محطّ سخريتهم؟ لا، بطريقة أو بأخرى، عليها أن تدرك أنّ الأمر حقيقي وأنها لا تتوهمّ. نعم، خافيار هنا شخصياً!! ضعفت إرادتها ولم تعد تقوى على المقاومة، فأرادت بشدة أن تنظر إليه. لمحته بطرف عينها وإذا بمعدتها تعتصر وتؤلمها فوضعت الحذر واحترام

الذات جانباً، وحدّقت إليه بتوقٍ شديد.

بدا تماماً كما تتذكره... وأكثر وسامة! بدا مرتاحاً جداً كما لو أنه في منزله محاطاً بأصدقائه. كان يرتدي بذلة رسمية وتساءلت «كايت» لما صمت الجالسون إلى الطاولة كلهم فجأة. لعلّ وجوده سبب صمتهم، فلن يمرّ هذا الرجل الوسيم، الطويل، الجذاب مرور الكرام، من دون أن يترك انطباعاً قوياً لدى من يرونه. لا بدّ أنه أحسّ أنها تتأمله إذا التفتت العينان الزرقاوان فلم يعد لمن في الصالة أيّ وجود وهو يتأمل وجهها ويحفظ ملامحه كلها. تنهدّ وقال بصوته الأجشّ المعهود الذي يجعلها ترتجف: «لن ترقصي مع هذا الرجل كايت».

تصرّف كما لو أنه واثق من أنها ستطيع أوامره ثمّ حوّل نظره سريعاً إلى الشاب الأصغر منه سناً. وتركّزت عيناه الضيقتان على يده التي لا تزال تمسك يدها وقال بلطف: «دعها».

ـ بأمر ممن؟

رأت كايت نظرة التهديد في عينيّ خافيار وأدركت أنه أكثر تهوراً مما يبدو عليه. وضع خافيار يده على يد إيان فسَحُب لون هذا الأخير حين شدّ خافيار على أصابعه، وشتم.

قال خافيار بتسلّط: «سترقصين معي!».

فتحت «كايت» فمها مدهوشة، فهذا التصرّف مبالغ فيه حتى بالنسبة إلى خافيار. ردّت مرتجفة: «رغباتك أوامر...».

هبّ إيان المهان يواجهه وسأله: «من تخال نفسك، تأتي إلى هنا وتريد أن تسلبني رفيقتي؟».

لاحظ إيان نظرة خافيار القاسية المهددة المخفية وراء قناع الكياسة والتهذيب، فتراجع خائفاً.

ـ رفيقك؟

رفع حاجبه وتابع هو ينظر إلى إيان: «أظن أننا جميعاً نخطىء أحياناً في حكمنا على الأشخاص. أمّا في ما يختصّ بهويتي...؟».

www.rewity.com
gege86

أخذت «كايت» نفساً مرتجفاً، وهي واثقة من أن التعريف لن يتوقف عند ذكر اسمه وحسب.

صاح «طوبي» الذي جاء في الوقت المناسب: «أنت خافيار مونتيرو!».

وتابع وهو يصافح يده بمودّة: «إذا احتجت يوماً لمحام كفؤ، فاسمي طوبي شالونر».

لاحت نظرة تسلية في عيني خافيار وقال: «سأتذكر هذا».

ثمّ نظر إلى «كايت» التي وقفت مكانها مدهوشة.

نظرت إلى يده الممدودة باتجاهها وأرادت حقاً أن تمسك بها، لكنّها أبت الإستسلام بسهولة فوضعت يديها المرتجفتين وراء ظهرها.

ـ لا يهمني من هو، لا يستطيع أن يرقص معكِ «كايت».

صرخت «كايت» وقد ضاقت به ذرعاً: «بحق السماء! إخرس إيان».

في الواقع لم تعد تريد أن يملي عليها الرجال ما تفعله فقالت: «سأرقص مع من أريد».

واقترح خافيار وهو يلمس ذقنها بإصبعه: «سترقصين معي يا «كايت» أليس كذلك؟ لا أصدّق أننا لم نرقص معاً أبداً يا حبّي».

فردّت بنبرة حادة: «ولا أصدق أنك هنا وتفعل بي هذا يا خافيار!»

باستثناء رغبته في التواجد في المناسبات الهامة، لم تستطع أن تجد أيّ مبرر لوجوده هنا. إلاّ إذا... ؟ وتساءلت: أتراه يريد الطلاق؟

قال «طوبي» فرحاً: «إنه يعرف «كايت». لقد أبقيتِ هذا سراً يا صديقتي».

ردّت «كايت» من دون تركيز وهي تشعر بأن خافيار يشدّ على أصابعها: «نوعاً ما».

رفع خافيار رأسه فخوراً وقرّبها منه ثم أعلن مبتسماً ليثير ذهول الموجودين: «نوعاً ما، فكايت زوجتي».

كل ما رأته «كايت» في تلك اللحظة هو وجه إيان الشاحب المذهول فتمتمت وهو يقودها إلى حلبة الرقص: «آه يا إلهي! ما الذي تحاول فعله؟».

ـ أحاول أن أتجنب قدميك. استمعي إلى الموسيقى حبّي.

ـ ما الذي تفعله هنا خافيار؟ أكنت في المدينة. لم يكن لديك مخططات أخرى، فقلت لنفسك لما لا أذهب وأدمّر حياة «كايت»... لا بدّ أنّ هذه الفكرة أثارت ضحكك لفترة!

ـ أنا لا أضحك.

لم يكن يضحك بل كان نظره مسمّراً على ملامحها المصدومة ووجهها المحمرّ خجلاً.

حذّرته بلؤم: «إن كنت تبحث عن طلاق سريع، فقد اخترت طريقة سيئة لتضمن تعاوني. لو بعثت لي برسالة مع محاميك لانتهى الأمر سريعاً. أمّا الآن، فأشعر بأنني شريرة».

هدأت ملامحه القاسية فجأة: «أنتِ لا تعرفين معنى كلمة لؤم أو الشرّ».

وجدت «كايت» معرفته بها أمراً محبطاً للغاية.

ـ ألا تفهم؟ بات الجميع يعرف بالأمر الآن!

ورفعت «كايت» عينيها الخائفتين لتنظر إلى وجهه الأسمر وقد بدأت تتجاوب مع نغمات الموسيقى الهادئة، فيما خافيار يقودها بنعومة على حلبة الرقص. ورقصا معاً بتناغم تام.

أحست «كايت» بجسدها يشتعل فهي قريبة جداً منه وعجزت عن السيطرة على أحاسيسها فهي تتوق إليه، وأخذت تشتم رائحة عطره وتذوب بسبب قربها منه.

ـ أظنّ أنّ ما قلته سيضع حداً لحياتك الإجتماعية. ينجذب بعض الرجال إلى النساء المتزوجات، لكنني لا أظن أن صديقك من هذا النوع، فقد بدا لي مريضاً...

انزعجت «كايت» من السخرية البادية في كلام خافيار، فهي تشك في أن يكون قد قضى الوقت بمفرده بعيداً عنها، ولا بدّ أنّ العديد من الإسبانيات تهافتن لجعله يشعر بالراحة. وأشعرتها هذه الفكرة الغثيان.

ـ حتى ولو كان إيان صديقي، وهذا غير صحيح، فالأمر لا يعنيك.

gege86

قال بهدوء: «أنا أجعل هذا الأمر من شأني».

وراح يحدّق إلى وجهها كما لو أنه يرغب في التهامها، وتابع كلامه فيما نظرت إليه «كايت» غير مصدّقة: «تبدين رائعة الجمال الليلة، حبّي».

سألته من دون تفكير: «أتظنّ هذا؟ ماذا تقصد بقولك أنك تجعله من شأنك؟».

- أعني أنّ الزواج على عجل...

- لأسباب خاطئة...

قال بنفاد صبر: «كما تريدين، لا يقوّي أواصر العلاقة بيننا!».

رفعت حاجبها وردت: «أنت من هجرني».

وعرفت «كايت» أنها لن تعيش أيّ تجربة مماثلة مرّة أخرى في حياتها.

- لا تعلمين كم صعب عليّ القيام بذلك، لكن ظننت أنّ هذه هي رغبتك. ظننتك تريدين استعادة حياتك التي سلبتها منك.

ردّت متحدية: «هذه رغبتي».

- كنت أحمق.

- أجئت إلى هنا من أجل الطلاق؟

أزعجتها ضحكته.

وقف خافيار من دون سابق إنذار وسط حلبة الرقصة فراح الآخرون يحدّقون إليهما. أغمض عينيه وأرجع رأسه إلى الوراء. راقبته «كايت» ثم سمعته يقول: «اشتقت إليك».

أخفت «كايت» على الفور بريق الأمل في عينيها وهزّت رأسها بعناد: «لا أصدقك».

لم تستطع أن تصدّقه، فستتألم كثيراً إذا أخطأت مجدّداً.

رفع رأسه مجدّداً والتفت إليها وقد ارتسم التصميم في عينيه. أخذ نفساً عميقاً ثم رمقها بنظرة حادة وقال: «دعيني أقنعك».

لاحظت «كايت» للمرّة الأولى إمارات التوتر ظاهرة على جسمه. فقالت محاولة تغيير الموضوع: «لقد خسرت شيئاً من وزنك».

بدا جسمه نحيلاً أكثر من السابق، وملامح وجهه أكثر بروزاً. لا بدّ أنّ هذه التغيّرات حصلت بسبب الضغط الذي تعرّض له إثر وفاة جدّه والمسؤوليات الكبيرة التي تحمّلها. أحست «كايت» بالانزعاج لأن أياً من المقرّبين منه لم يوله العناية الضرورية. وتساءلت لما عساها تلومهم، فهي زوجته، ومن واجبها هي أن تعتني به.

بالطبع لو كانت زوجة حقيقية بكل ما للكلمة من معنى، لما اضطرّ أحد إلى الاعتناء به، لأنها كانت ستقوم بهذه المهمة على أكمل وجه.

هزّ كتفيه غاضاً النظر عن قلقها على صحته.

قالت: «لكلّ شخص حدوده يا خافيار حتى أنت».

أطلق ضحكة غريبة: «لو لم أكن أعلم هذا، لأدركت ذلك في الأسابيع الستة الأخيرة. هذا بالإضافة إلى أمور كثيرة أخرى».

اسودّت عيناها وسألته: «أكان الوضع بهذا السوء؟».

وتزايد قلقها حين رأت العرق يتصبب من بشرته الذهبية المرتجفة. فكايت، التي سبق لها أن رأت مدى برودته في مناسبات عدة، تعلم تماماً أن خافيار لا يتأثر بالحرارة.

جاء الردّ عنيفاً من بين أسنانه البيضاء اللامعة: «تباً! أتخرجين مع أحد؟».

وقفت متحدية: «وإذا كنت أفعل؟».

ظهر خط أبيض على شفتيه المطبقتين. لم يسبق لكايت أن رأت مدى تأثره حين يكون عاشقاً، لكن كبرياءها منعتها من مبادلته المشاعر.

قال بغضب وهو يحاول جاهداً السيطرة على أعصابه: «بحق الله «كايت»، لا تسخري مني، فأعصابي ليست هادئة».

ارتعدت «كايت» من تصريحه القاسي، فقررت عدم اختبار مدى انزعاجه، وسعلت.

قالت له بارتياح: «لا، أنا لا أخرج مع أحد يا خافيار، ويبدو أنك أفسدت عليّ الفرص كلها».

www.rewity.com
gege86

حين تجرأت «كايت» أخيراً على النظر إليه، جمدت وأحست بألم يعتصر فؤادها وحنجرتها إذ شاهدت في عينيه نظرة ظفر. حتى في تلك اللحظة، رفضت تصديق ما نواه.

ـ هكذا يجب أن تكون الأمور يا زوجتي، فقد أفسدت عليّ كل الفرص مع النساء الأخريات. أظنني وقعت في حبك منذ وقع نظري عليكِ للمرة الأولى. لم ألاحظ ذلك حتى أغمي عليك ونحن خارجان من الكنيسة. أعمتني أنانيتي، فقد كنت واثقاً من أنكِ تحتقرينني، وتصرفت كأبله حين تركتك ترحلين... خشيت الرفض إذا سألتك أن تبقي معي، ولكن كما ترين الآن فقد تحطّمت كبريائي كلياً».

ـ ليس كلياً.

أطلقت «كايت» ضحكة فيما حدّقت إلى وجهه الرائع الجمال. ومن دون سبب رفعت يدها الصغيرة ووضعتها على خدّه الذهبي، فتمتم خافيار اسمها وأدار رأسه وقبّل راحة يدها.

تقلصت عضلات معدتها وهي تنظر إلى شعره الأسود اللماع.

ـ لا أظن أن ما يجري حقيقي.

عضّت شفتها تحالد لمنع دموعها من الانهمار، فهي لو بكت لن تستطيع التوقف. قالت: «حلمت مراراً بهذه اللحظة، لكن لم يخطر لي يوماً أنها ستحدث».

حدّق خافيار بفخر إلى عينيها الدامعتين: «أظنني أعرف كيف أقنعك».

تجاوبت «كايت» مع عناقه بروحها وجسدها ولم يتوقفا حتى سمعا صوتاً يقول: «ما كنت لأزعجكما».

وقال خافيار: «طوبي، أليس كذلك؟».

ـ أردت فقط أن أخبركما أنّ الموسيقى قد توقفت منذ نحو خمس دقائق. ولا أقصد الإهانة، لكنّ الجميع يحدّقون إليكما.

تأوّهت «كايت» وقد أدركت فجأة أنهما يقفان وحيدين وسط حلبة الرقص ومئات العيون الفضولية تتركز عليهما: «آه يا إلهي».

تأمّل خافيار الصالة بحركة طبيعية حسدته «كايت» عليها وقال: «ما من أمر مخجل في معانقتك لزوجك يا حبّي».

ردّت مرتجفة عندما خطر لها أنها قدّمت لتوّها عرضاً أمام الناس: «السبب في ذلك عائد لتربيتي البريطانية المتزمّتة».

ظهر بريق في عينيه العميقتين حين قال: «لم ألاحظ أي تزمّت عندك».

نظرت «كايت» إلى طوبي الذي كان يلهو بأظافره وقالت ضاحكة: «بالله عليك خافيار!».

ابتسم خافيار لرؤيته وجهها يحمّر خجلاً ثمّ استدار ليواجه المحامي الشاب، وقال له بهدوء وهو يربّت على كتفه: «نحن مدينان لك يا طوبي، أتجيد الإسبانية؟».

بدا طوبي مدهوشاً لكنه أجاب بثقة: «جيد جداً وأتقن اللكنة أيضاً».

ـ حسناً إذا كنت جاداً بشأن العمل فاتصل على هذا الرقم.

ناوله خافيار بطاقة.

ـ هل أنت جاد؟

ردّ خافيار مبتسماً: «أنا دائماً جاد في أمور العمل. والآن عن إذنك! كنا، أنا و«كايت» على وشك المغادرة».

تمتمت وهو يدنيها منه: «من الجيد أنك أخبرتني».

رفع حاجبه: «أتفضلين أن نتابع حديثنا هنا؟».

ـ أكنّا نتحدّث؟

شرح لها بابتسامة عريضة: «لهذا السبب أرى أن ننتقل إلى مكان أكثر خصوصية إذ تتملكني رغبة جامحة في قضاء الليلة مع زوجتي».

ردّت ضاحكة: «في هذه الحالة، أرشدني إلى الطريق».

تنهدت كايت بارتياح حين خرجا من الصالة. حاولت التمثّل بعدم اكتراث زوجها وهما يخرجان من الصالة وسط الملاحظات والتعليقات لكنها عجزت عن ذلك. كما أن خافيار لم يساعدها، ولم يرحّب بالأشخاص الذين أرادوا التودّد إليهما.

www.rewity.com
gege86

ـ أن يكون المرء غنياً ومهماً لا يعطيه الحق في التصرّف بقلّة تهذيب.

أقرّ بالذنب فوراً: «أعلم، ولكنني أتشوق لقضاء الليلة برفقة زوجتي».

أدركت «كايت» على الفور أنّ ثمة ظروف تخفيفية أجبرته على التصرّف بهذه الطريقة.

ـ أتظن أنني شخص يسهل التغلّب عليه؟

وسمحت له أن يأخذها بين ذراعيه.

قال لها: «أظن أنك الساحرة الألطف والأجمل في العالم».

فأقرّت: «حسناً، أظن أنّ لك حسناتك، فقد تصرّفت بشكل رائع مع طوبي».

ـ لا، لم أكن لطيفاً مع طوبي. فأنا أعتمد على الانطباع الأول. وأول انطباع كوّنته عنه هو أنه شخص وفيّ، لا يخاف أن يعبرّ عن رأيه، وأمثاله نادرو الوجود.

ـ إذاً، انطباعك الأول مصيب دائماً؟

وفتحت عينيها ببراءة ثم سألت: «ماذا عن الانطباع الأول الذي كوّنته عني؟».

نظرت إليه وعيناها تلمعان، فأكدّ لها: «كان انطباعي الأول عنك صحيحاً مائة في المائة».

تذكرت «كايت» اتهاماته ونظرت إليه باستغراب.

ـ علمت أنك في ورطة عندئذ.

ورطة...؟ أعجبت «كايت» بهذه الكلمة إذ جعلتها تشعر أنها شجاعة وخطيرة، وأنها امرأة قوية.

أضافت: «حري بك أن تصدّق هذا».

فرحت «كايت» لأنها رأت عينيه تلمعان سروراً، فوضعت يديها حول عنقه لكن أضواء كاميرا أعمتها فجأة، فأزاحها خافيار فوراً من أمام المصوّر الذي اغتنم هذه الفرصة.

صعدت بسرعة إلى سيارة الليموزين المركونة أمام المبنى فيما تابع المصوّر التقاط الصور عبر زجاج السيارة.

أعطى خافيار تعليماته بغضب إلى السائق قبل أن يضغط على الزرّ ويرتفع الحاجز الزجاجي الذي يفصلهما عنه.

سألت «كايت» وهي تسند ظهرها إلى الخلف متنهّدة: «أغالباً ما يحصل معك هذا؟».

نظر إليها شاحباً وقد بدا عليه القلق: «آسف يا حُبّي لأنني عرّضتك لهذا، لا بدّ أن أحد الموجودين قد أعلم الصحافة. كان عليّ أن أتوقع هذا».

وعبس، فاعترفت ببراءة: «لم يكن ما حصل جميلاً، وأتوقع أن أظهر غداً في الصحف كفتاة رخيصة. لكن أظنّ أنّ عليّ أن أعتاد هذا إذا كنت جاداً في ما قلته عن اعتبار زواجنا حقيقياً».

تبدّلت نظرات خافيار المتوترة لتحمل الكثير من التقدير: «أتعلمين أنك حقاً مميزة؟ أنت تعلمين أنك وبصفتك زوجتي ستصبحين محط الأنظار».

فاعترفت خجلة: «أنا مستعدة للتضحية بأمور كثيرة كي أكون زوجتك».

لمعت عيناه فرحاً، وتنهّد ثمّ قرّبها منه، وقال: «أنا الرجل الأوفر حظاً في العالم».

ابتعدت «كايت» عنه وجلست مستقيمة في مقعدها، فحذا خافيار حذوها وأرخى ربطة عنقه. وقال وهو يسدل لها شعرها: «سيصعب عليك التوفيق بين مهنتك وزواجك، وستضطرين إلى تنظيم مواعيدك».

أيطلب منها التخلي عن مهنتها؟ أهذا ما يتوقعه الناس من زوجة أحد أفراد أسرة مونتيرو؟ لعلها كانت ساذجة حين لم تتوقّع حصول هذا. سألته باضطراب: «أتطلب مني الاختيار بينك وبين عملي؟».

فسألها مستغرباً: «ما عساك تخالينني؟ أتظنيني لا أقدّر ما فعلته حتى الآن، فأطلب منك التخلي عن عملك، كي تلاحقيني باستمرار؟».

ومدّ يده ووضعها خلف رأسها ثم قرّب وجهها منه.

www.rewity.com
gege86

أحست «كايت» بدوار، فيما تابع قائلاً: «لن أحاول أبداً تدمير ما يجعلك المرأة التي أحبّ. أنت شجاعة، بشكل مخيف أحياناً، ومضحكة طبعاً، وذكية، وعنيدة. كما أنك تظنين أنكِ تفهمين أكثر مني ولا تكفين عن قول هذا، وهذا أمر أقرّ بأنه يفيدني».

وعدت «كايت»: «سأذكرّك بأنك قلت هذا الكلام».

ـ خلت أنني أريد امرأة أحميها من قساوة الحياة...

ـ سارة...

أومأ خافيار واعترف: «لكانت علاقتنا كارثة، فرقّتها تؤثر فيّ كثيراً. أرجوك لا تضحكي».

قال هذا حين رآها تبتسم ثم أكمل: «أظنني اعتبرت نفسي فارساً لكنها لم تكن تحتاج إلى فارس أو عامل اجتماعي بل إلى رجل يحبّها، وأظنها تصرفت بحكمة عندما عرفته على الفور».

سُرّت «كايت» لأن مسألة سارة قد حُلت لكن مسألة واحدة بقيت عالقة... ولا تدري ما ستكون ردّة فعله عليها.

قالت ممازحة: «قد أحتاج أحياناً إلى من ينقذني، وفي حال لم أحتج هذا فسيسرني لعب دور المرأة الضعيفة».

رنّت ضحكة خافيار عالياً وقال: «علّمني لقائي بكِ أنّ من المثير حقاً العيش مع شريك حياة يفاجئك باستمرار. طبعاً سنستمرين بالعمل، لكننا سنضطر إلى اجراء بعض التعديلات. أنتِ لا تدركين كم اشتقت إليك. حصلت أمور عديدة وددت لو أخبرك عنها، لكنني كنت أتذكر أنك تبعدين عني مئات الأميال. رفعت سماعة الهاتف مرّات عديدة وأنا يائس لسماع صوتك... إلا أنّ عنادي وكبريائي كانا يمنعاني من طلب الرقم...».

وبالرغم من الرعشة الحلوة التي تصيبها وهي قريبة منه، ألاّ أنّ «كايت» أجبرت نفسها على الابتعاد عنه. لم يكن الأمر سهلاً فهي حساسة جداً وكلّ ما عليه فعله هو النظر إليها حتى تذوب بين ذراعيه.

عليها أن تخبره الآن.

تمتمت فنظر إليها خافيار قلقاً. كان حبّها له عقدة تعتصر فؤادها وتساءلت كيف سينظر إليها بعد بضع دقائق.

ـ في الواقع، خافيار...

ـ ما الذي يقلقك يا زوجتي؟

اعترفت معتذرة: «قد تكون تلك التعديلات التي تحدّثت عنها أصعب مما ظننت...».

ـ ماذا تقصدين...؟

ـ حسناً، أتذكر أنني قلت لك إنني لا أؤمن بالخرافات...

شحب وجهه وهزّ رأسه وتمتم: «أنتِ لا تعنين...؟»

أومأت «كايت»: «بل، أجريت فحصين لأتأكد تماماً، وأنا حامل».

لسوء الحظ، لم يتبدل التعبير المرتسم على وجهه.

ـ وتشعرين...؟

أقرّت: «بالغثيان كل صباح، ولا أستطيع أن أشتمّ رائحة القهوة، لكن عدا هذا...».

ـ أعني، ما هو شعورك؟

ـ حسناً. لم أتخيّل نفسي يوماً أماً...

ونظرت إلى بطنها ومن ثم إلى وجهه متسائلة فلم تلاحظ أيّ علامة يأس عليه وتابعت: «لكن حين زالت الصدمة، رحت أرقص في أرجاء الغرفة كالمجنونة، ثمّ ما لبثت أن أدركت ما يجري وانفجرت بالبكاء، وأحسّ الآن أنني سأنفجر بالبكاء مجدداً. لا أتوقع أن يتملكك الشعور نفسه طبعاً».

تساءل وهو يمسك يديها ويضعهما في يديه: «أيراودني الشعور نفسه؟».

وقبّل يديها ثم سألها غير مصدّق: «لا يجدر بك أن تتساءلي عن شعوري؟ كيف لا أشعر بالنشوة وزوجتي التي أعشقها تنتظر طفلي. كنت قلقاً من شعورك. ظننتك لا تريدين هذا الطفل بسبب تصرفي السابق المتهوّر».

www.rewity.com
gege86

ـ ما خطبك؟ أنا لم أعترض على ما حصل.

فرح كثيراً بما قالته واغرورقت عيناه بالدموع.

ـ أنا أريد هذا الطفل يا خافيار. في الواقع، ثمة أمر واحد يقلقني...

ـ ما هو...؟

نظرت إلى عينيه وخطر لها أنها بحاجة للنظر باستمرار إلى عينيه الرقيقتين لتستمد العون.

ـ كنت أتساءل متى سأحظى بعناق حار؟

فقال لها مبتسماً: «أنا في خدمتك».

ـ أأنت متأكد ممّا تقحم نفسك فيه...؟

اقترح وهو يدنيها منه: «قضاء أربعين سنة وأكثر بجوار حبيبة قلبي».

ـ لا أمانع في أن أقضي مائة سنة وأكثر بجوارك.

واستسلمت «كايت» لعناقه الحار. وشعرت بالغبطة تملؤ قلبها وأدركت أنها ستحظى دوماً بدعم خافيار وحبّه.

www.rewity.com

***

gege86